
روايات مصرية للجيب
زهور
104
أحلام
Looloo
فوزي عوض
www.dvd4arab.com

هذه السلسلة ..

عندما تتحولّ حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..

وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..

يتوق قلب كل منا إلى الحبّ .. الحب الذى يروى هذه المشاعر .

فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب .. وفى لحظات الكراهية .. وفى لحظات الجفاف .. فيشع عبيرها الفوّاح فى ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

الفصل الأول

جحظت عيون قائدى وركاب السيارات ، التى أُرغمت على الوقوف فى نهر الطريق ، وراحت تحدّق فى المشهد العجيب .. آدمى أغبر عملاق ، يشبه وحوش الأحراش الأسطورية ، لايستره سوى سراويل قصيرة معجونة مثل بشرته بالطين والتراب ، راح يعبر الطريق الصحراوى ، جارًا خلفه بقرتين ضخمتين نافقتين ، مشدودتين إلى كتفيه بحبال لوفية غليظة ..

كانت شمس « يوليو » فى هذه الساعة تقف فى كبد السماء ، تصبُّ قيظها على الأرض ، وتكاد تشوى هذه البقعة الصحراوية تحديدًا بلهيبها .. وكان لهيب الأسفلت وحده يكفى لقدح الزيت فى القدور .. ومع ذلك مضى العملاق العجيب يعبره ببقرتيه الضخمتين حافى القدمين ، فى تباطؤ شديد ، غير عابئ بنظرات الذهول التى تغمره من الناحيتين ..

وكان واضحًا أنه جاء بالبقرتين من تلك القرية الصغيرة القابعة خلف التل الرملى المرتفع على يمين الطريق ، وأنه مكلف بدفنهما فى جوف الصحراء المقابلة للقرية ..

وفرغ العملاق الأغبر من عبور الطريق ، ومضى ببقرتيه فوق الرمال ، فعاودت السيارات تحركها ، إلا سيارة واحدة ، انتحت الجانب الأيمن من الطريق ، وتوقفت بها قائدتها ، ثم عادت تتابع بعينيها هذا الآدمى المخيف ، وهو يجوس بقدميه الحافيتين فوق الرمال الملتهبة ، متوغلاً فى جوف الصحراء بحمولته ..

كانت السيارة (مرسيدس) ضخمة من أحدث طراز ، وكانت قائدتها التى تبدو فى الثلاثينيات من عمرها آية فى الجمال والأناقة .. وكان واضحًا أنها فوجئت فى المشهد بشىء ما يخصها .. وأن هذا الشىء قد ضربها بصدمة مروعة أغرقتها فى حالة ذهول ، وهى تتابع بعينيها الآدمى العجيب ، وهو يزداد توغلاً فى جوف الصحراء ، حتى إنها لم تسمع صديقتها الحسناء الجالسة إلى جوارها ، وهى تناديها فى دهشة ، مما اضطر الصديقة إلى لكزها فى ذراعها :

ـ أحلام ؟!

وأجابتها « أحلام » دون أن تحيد ببصرها عن العملاق ، حتى اختفى وراء إحدى الكثبان الرملية :

ـ نعم يا « نهال » .

ـ ماذا هناك ؟!

ـ لا شىء .

وظهر العملاق مرة أخرى ، عائدًا من وراء الكثبان بمفرده ، بعد أن تخلص من حمولته .. أقبل بنفس خطواته الوئيدة غير المبالية ، ونفس نظراته الخاوية المرسلة فى الفراغ ، وكأنه كتلة من حديد تزحف على قدمين .. مضى فى سيره حتى عبر الطريق مرة أخرى قاصدًا القرية ، بينما عينا « أحلام » تواصلان التحديق فيه ، حتى ارتقى التل ، واختفى وراءه ، فإذا بها تفتح باب السيارة ، وتمضى فى أثره ، غير عابئة بنداء صديقتها وذهولها ، مما اضطرها إلى مغادرة السيارة هى الأخرى ، واللحاق بها ..

ومضى العملاق صوب القرية ، حتى بلغ حجرة طينية تشبه الكهف تقف وحيدة على مشارفها .. ودخلها .. وتسمرت « أحلام » فى مكانها ، مرسلة بنظراتها الذاهلة إلى الحجرة فى اضطراب مؤلم ، جعلها لاتدرى ماذا تفعل .. بينما صديقتها تكاد تصرخ فيها هلعًا وذهولاً :

ـ « أحلام » ؟! ما الأمر ؟!

والتفتت إليها « أحلام » بذهولها واضطرابها .. حدجتَها بنظرة تهدر حيرة وذهولاً ، ثم عادت تحدّق فـى الكهف بذهولها العاصف ، ثم إذا بها تخطو نحوه بخطوات ثقيلـة مترددة ، وهى تزداد اضطرابًا مع كل خطوة تخطوهـا نحوه ، وتزداد تحديقًا ذاهلاً فى بابه حتى بلغته .. ووجدت نفسها تدفعه بأصابع مرتجفة ، حتى فُتح على العملاق ، فإذا به جالسًا القرفصاء على الأرض الترابية العاريـة ، ملقيًا بظهره إلى الحائط ، ومرسلاً بنظراتـه الخاويـة أمامه دونما وَعْى ، حتى بدا وكأنه لا يرى تلك الحسنـاء المنتصبة أمامه بالباب ، تحدّق فيه كـالصنم المذهول ، والتى ما لبثت أن راحت تتقدَّم منـه بنظراتهـا الذاهلـة ، وقلبها المضطرب بعنف ، ثم إذا بها تَجثُـو أمامـه علـى ركبتيهـا ، وتأخـذ فـى تفـرس وجهـه بإمعان شـديد ، بينما هو ساكن بين يديهـا ، يبادلهـا نظراتهـا بنظـرات بلهـاء فـاقدة الحيـاة .. وبعد جهـاد طويـل مـع نفسـها (للملمة) شتَاتها ، وجدت نفسـها تناديـه بصوت ذاهل مرتجف :

ـ « كمـال ؟! »

وجاءهـا الـرد .. نفس نظرات البلاهـة ، لا أكثر .. وإذا « بنهال » خلفها تغمغم وهى تكاد تَصعق من الذهول :

ـ معقول ؟!

بينما عادت « أحلام » تناديه :

ـ « كيمو » ؟!

لم يتغير الرد ، ولكن الفتاة لم تيأس :

ـ بلدوزر مصر ؟!

وللمرة الثالثة ذهبت محاولتهـا أدراج الريـاح .. وإذا بصوت رجـل من خلفهـا يقرؤهـا السـلام .. اسـتدارت « أحلام » لتجده عجوزًا بجلباب وعمامـة متواضعتين ، يتكئ على عصاه بيد ، ويمسك بـالأخرى لفافـة مـن قماش .. بادرهما قائلاً :

ـ أهلاً بكما يابنتىَّ .

وأجابته « أحلام » فى وهن وحزن :

ـ أهلا بك يا عماه .

والتفت العجوز إلى « نهال » الواقفة متسائلاً :

ـ ألكما منه حاجة ؟

نظرت إليه « نهال » حائرة ، لا تدرى بما تجيبه ، فجلس الرجل إلى جوار العملاق ، واضعًا عصاه جانبًا ، ثم راح يبسط لفافة القماش ، فإذا بها تحوى خبزًا ريفيًا طازجًا وجبن « قريش » كالزبد ، وبضع حبات من الطماطم والخيار .. وضعها كلها أمام العملاق ، ثم راح يربّت عليه فى حنوٍّ قائلاً :

ـ هيا يا ولدى .. بسم الله .

وأمسك العجوز بثمرة خيار ليضعها فى يد العملاق ، ولكن « أحلام » مدت يدها لتأخذها منه قائلة :

ـ دعنى أطعمه أنا يا عماه .

وشرعت تطعمه ، وهى تحلّق بنظراتها الذاهلة على وجهه ، بينما قلبها يتفطّر حزنًا فاجعًا .. وغمغم العجوز وقد اشتم فيما يرى ـ ببصيرة الشيخوخة ـ رائحة عجيبة من عجائب الأقدار :

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله .

وهنا التفتت إليه « أحلام » تسأله :

ـ منذ متى يقيم هنا ؟

وأجابها الرجل فى حنوٍّ :

ـ منذ أربعة أعوام ، أو يزيد قليلاً يابنتى .

ـ وكيف وجدتموه ؟

ـ جالسًا فى مدخل القرية بنفس هيئته هذه .. ولم يكن من الرحمة أن نتركه لزمهرير البرد ، وضوارى الليل ؛ فأخذناه ليقيم معنا فى القرية ، ولكننا استيقظنا فى الصباح لنجده هنا ، فتركناه على حريته .. يتجوّل فى القرية كيفما شاء ، ويعود إلى هنا متى شاء ، على أن نأتيه برزقه من فضل الله .

التفتت « أحلام » إلى العملاق تتأمله فى حزن وهو يمضغ طعامه ، ثم عادت تسأل العجوز :

ـ ألا يتكلم ؟

ـ لا يابنتى ، لا يتكلم ، ولكن من الواضح أنه إنسان طيب .

- إذن كيف كلفتموه بالتخلّص من البقرتين النافقتين ؟

دُهش العجوز :

- أو قد فعل ؟!

وتطلع إليه فى امتنان ، ثم استطرد :

لقد كانتا ملقاتين فى مدخل القرية ، وكنا نبحث عن عربة نقل تنقلهما إلى البر الصحراوى ، ولكنه سبقنا ، وفعلها من تلقاء نفسه .. ألم أخبركما بأنه إنسان طيب ؟

- إذن فهو واعٍ .

تطلع إليه العجوز فى رثاء :

- الله وحده أعلم بما فى عقله .

وإذا بالفتاة تغمغم فى سُخط شديد :

- والله يلعن من دمَّرت عقله .

وفوجئ العجوز :

- أو تعرفينه يابنتى ؟!

وكان رد « أحلام » وهى تحلّق بنظرات الحسرة على وجه العملاق المشغول بطعامه :

- أعرفه ؟! وهل فى مصر أحدٌ لايعرفه ؟ إنه « كمال المشرفى » .. بطل أبطال العالم فى المصارعة ، والذى اختفى منذ خمس سنوات دون أثر .

وإذا بـ « نهال » تهتف مستنكرة :

- مستحيل يا « أحلام » .

وكان رد « أحلام » وهى تحدجها فى حدة :

- ما هو المستحيل يا « نهال » ؟! هل أخطئ « كمال » ؟!

ارتبكت « نهال » :

- ولكن ...

ولكن « أحلام » أشاحت عنها بوجهها ، ملتفتة مرة أخرى إلى العملاق ، تتأمله بحزنها الذى يمزق نياط قلبها ، ثم مالبثت أن انتبهت إلى طعامه ، فعادت تطعمه بيدها فى حنوٍّ ، حتى أشاح بفمه عن يدها الممسكة بالخبز والجبن ، فأدركت أنه شبع .. تلفتت حولها ، فإذا بالعجوز يمد لها يده بقلة فخارية .. تناولتها منه ، ورفعتها إلى فم العملاق تسقيه ، حتى أفرغها كلها فى جوفه .. وضعتها جانبًا ، ثم التفتت إلى « نهال » تسألها :

ـ (كلينكس) .

وهزت « نهال » رأسها نفيًا ، فالتفتت الفتاة إليه مرة أخرى ، وراحت تمسح له فمه بأصابعها ، وإذا بعينيه تغمضان ، وإذا به يميل بجانبه ، متمددًا على الأرض ، ويذهب فى النوم ، بينما الفتاة تحدق فيه بالدموع ، وقد انشطر قلبها وكأنه شُق بسكين حاد .

★ ★ ★

الفصل الثانى

لم يطل تأمل « أحلام » للعملاق المدد فوق التراب .. انتبهت حواسها فجأة ، وبدت وكأنها تفكر فى أمرٍ ما .. ولم يستغرقها تفكيرها كثيرًا .. فإذا بها تلتفت إلى العجوز قائلة :

ـ عمّاه ! هل لى أن أطلب منك خدمة ؟

وكان رد العجوز فى حنو :

ـ إذا كانت بمقدورى يابنتى .

ـ أريد شابين أو ثلاثة من أهل القرية ، ليحملوه إلى سيارتى .

فوجئ العجوز :

ـ هل ستأخذانه ؟

أجابته فى حسم :

ـ نعم .

بدا على العجوز الحرج ، وتردد قليلاً قبل أن يسألها :

ـ أهو قريب لكما ؟

التفتت الفتاتان إلى بعضهما متبادلتين نظرة حيرة ، ولكن « أحلام » سرعان ما التفتت إليه قائلة فى ثبات :

ـ نعم يا عماه .. إنه قريب لنا .

رمقها العجوز بنظرة عميقة ، لم يملك بعدها إلا أن يسحب عصاه قائلاً :

ـ لكما ما تريدان يابنتى .

ونهض متكئًا على العصا ، ثم التفت إليها قائلاً :

ـ لن أتأخر عليكما .

ومضى ، بينما التفتت « أحلام » إلى صديقتها قائلة :

ـ أحضرى السيارة من فضلك يا « نهال » .

حدجتها « نهال » بنظرة حيرة ، ثم مضت مضطرة ، بينما التفتت « أحلام » إلى العملاق المستغرق فى نومه ، تغمره بنظرات الاعتذار .

ولم يتأخر العجوز .. عاد بأربعة من الفتية الأشداء .. مالوا على العملاق يحملونه ، بينما « أحلام » تحثهم على الترفق به .. وتبعتهم حتى مددوه بالمقعد الخلفى للسيارة ،

فأجزلت لهم العطاء ، ولكنها حين همت بأن تفعل مع العجوز فوجئت به يرد يدها دون كلمة .. ثم إذا به ينحنى على العملاق داخل السيارة ، طابعًا على خده قبلة فى غاية الحنو .

وجلست « نهال » إلى عجلة القيادة ، وجلست « أحلام » إلى جوارها ، وهى تقول لها :

ـ عودى بنا إلى الفيوم .

دُهشت « نهال » :

ـ ولماذا لانعود إلى القاهرة ؟!

شردت « أحلام » مغمغمة فى مرارة :

ـ القاهرة ؟!

ثم إذا بلهجتها يدب فيها عزم هائل وهى تقول :

ـ « كمال المشرفى » لن يظهر فى القاهرة إلابالصورة التى تليق به .

وتحركت « نهال » بالسيارة .. وطوال الطريق لم تتبادل الصديقتان بنت شفة ..

ذهبت كل منهما بفكرها ومشاعرها فى وادٍ .. « أحلام » انفجر بداخلها عذاب ضارٍ .. عذاب بُعث هائجًا من الماضى .. وعذاب صدمتها بهذه الحال الفاجعة للبطل الذى كان .. وعذاب الخوف من العجز عن إنقاذه .. وطوال الطريق لم ترفع عينيها عنه وهى تهدر بكل هذا العذاب ..

أما « نهال » فقد بدا عليها بوضوح أنها تعانى قلقًا غامضًا يكاد يعميها عن الطريق ..

كانت « نهال » تقارب الأربعين من عمرها ، ولكنها كانت تبدو أصغر من ذلك بكثير ، بجمالها الطبيعى الذى لايحتاج لأية رتوش ..كانت شقراء .. وردية البشرة ..ناعمة الشعر .. ذات ملامح حلوة ، ولكنها مدموغة بشىء ما غير مريح .. شىء ينم عن قلب حقود ، يضخ فى العروق غلاً ونقمة ..

أما « أحلام » ، فبالرغم من أنها لم تكن فى جمال « نهال » ، إلا أنها كانت ذات أنوثة مشتعلة ، وبراءة تضفى على وجهها جمالاً عذبًا ، ينفذ بها إلى القلوب من نظرة واحدة فيه .. فقد كان لها قلب أنقى من اللبن الحليب .. وهو ما كان يجعلها دائمًا متناقضة الحال مع صديقتها .. تمامًا مثلما هما الآن .. ومثلما ظلتا حتى بلغتا قصر « أحلام » على ضفاف بحيرة « قارون » ..

كان قصرًا صغيرًا ، ولكنه آية فى الروعة والبهاء .. يطلُّ بإحدى واجهتيه على صفحة البحيرة الرحيبة الزرقاء ، وبالأخرى على الحقول الخضراء الممتدة بامتداد البصر .. ويطل ببوابته الضخمة على الطريق الأسفلتى الفاصل بين البحيرة والحقول .. والذى سارع الحارس بفتحها ، لتدخل « نهال » بالسيارة حتى الباب الداخلى للقصر ، حيث كان فى انتظارهم الخدم والحراس بناء على أمر « أحلام » لهم بالموبايل .. والذين ضربتهم دهشة عنيفة بمجرد أن وقعت أبصارهم على هذا المخلوق المخيف الذى يملأ النصف الخلفى من السيارة ، ولم ينتشلهم من دهشتهم سوى أمر سيدتهم :

ـ مَلاءة بسرعة .

انطلق أحدهم ، وعاد بها فى لمح البصر ، حيث سارعوا فى لف العملاق بها ، ثم راحوا يتكاتفون فى حمله ، بينما سيدتهم تحثهم على الترفق به ، كل ذلك وهو مازال غارقًا فى نومه ، مما جعل « نهال » تتساءل متعجبة :

ـ كل هذا ولم يستيقظ ؟!

وكـان رد « أحـلام » ، وهـى تتابعـه بعينيهـا محمـولاً على أذرع الرجال :

ـ وماذا تتوقعين لرجل جر ثقلاً يزيد على الطن ، فـى جـو تزيـد حرارتـه علـى الأربعين درجـة ، ولأكثر مـن كيلومتر ؟ لو فعلها عشرة رجال لناموا فيها شهرًا ..

وتحركت الفتاتان خلف الرجـال ، الذين كـان واضحًا عليهم أنهم ينوءون بحملهم الثقيل ، وإذا بـ « نهـال » تقول لـ « أحلام » :

ـ ألم يكن من الأفضل أن يستريح فى حجرة الجناينى حتى ......

ولم تدعها « أحلام » تكملها .. قاطعتهـا بحدة وهـى تكاد تلتهمها بعينيها :

ـ « نهال » !

وبُهتت « نهال » .. أسرعت تهتف فى خجل :

ـ آسفة يا « أحلام » .

وهدأت غضبة « أحلام » ، واندفعت تسبق الرجـال ، هاتفة فيهم وقد دخلوا بهو القصر :

ـ الغرفة البحرية .

ومضت تسبقهم فى الصعود إلى الطـابق العلـوى ، قاصدة الغرفة التى عنتها ، حيث اندفعت تغلق نوافذها ، وتسدل ستائرها ، وهـى تهتـف فـى صديقتهـا الواقفـة خلفها :

ـ التكييف يا « نهال » !

فسارعت « نهـال » بتشـغيله ، بينمـا دخـل الرجـال بالعملاق ، وراحوا يضعونه برفق فـى الفراش الأزرق الوثير ، ساحبين فوقـه غطـاءً خفيفًـا ، ثـم استداروا منصرفين .. بينما استدارت سيدتهم نحو العملاق ، فإذا بشىء من الرهبة يسرى فى أوصالها .. نعم .. لقـد بدا بتمدده على ظهره بطول الفراش .. وبحجمـه الهـائل .. وبوجهـه المتطلـع إلـى أعلـى فـى شـموخ فطـرى .. وبجبروت القوة الخارقة البادية على هيئته كيانًـا مهيبًا يبعث على الرهبـة والمهابـة .. ووجدت نفسـها تجلس إلى جواره فى خشوع شديد ، وهى تمعن فى تأمله أكثر

وأكثر .. ثم إذا بأصابعها تمتد فى رهبة ، متحسسة هذا الجسد الأسطورى الذى طالما صال وجال فى حلبات المصارعة على امتداد العالم .. ولطالما سحق أشداء يلين بين أيديهم الحديد .. وانتزع شهقات إعجاب لم ينلها بطل على أرض العالم قط ..

وجاشت مشاعر الفتاة لهذا الجلال المسجى بين يديها ، حتى انتبهت على دمعة سقطت منها على صدره العارى ، فأسرعت تمسحها بأصابعها وهى تهمس له بكل إجلال :

ـ آسفة أيها البطل العظيم .. نم واشبع نومًا ؛ كى تبدأ رحلة عودتك إلى عرينك .

وسحبت الغطاء فوق صدره ، ونهضت مغادرة الغرفة بدموعها ، تتبعها « نهال » بنظراتها الغامضة غير المريحة .

* * *

الفصل الثالث

صُعق السفير « عبد الرحمن المشرفى » وهو يحدّق فى العملاق الممدد فى الفراش ، وراح يغمغم فى ذهول يكاد يذهب بعقله :

ـ من ؟!

وأجابته « أحلام » فى غمٍّ ، وهى تقف إلى جواره :

ـ « كمال » يا جناب السفير .

ـ مستحيل !

ـ هو يا سيدى .. هو بشحمه ولحمه .

مال الرجل عليه مدققًا النظر فيه ، ثم عاد يردد بذهوله :

ـ مستحيل ! مستحيل !

وإذا بنبرة « أحلام » تتلوّن فجأة بشماتة غامضة وهى تسأله :

ـ هل تخطئ ابنك يا جناب السفير ؟

فما كان من الرجل إلا أنه هوى على ابنه مقلبًا فيه بانهيار عصبى ، وهو يتساءل بذهوله :

ـ من فعل به هذا ؟!

وكان رد « أحلام » من فوقه بنفس شماتتها الغامضة :

ـ أو لا تعلم من فعل به هذا يا « عبد الرحمن » باشا ؟

ولم يسمعها الرجل .. اندفع ينادى ابنه بالدموع :

ـ « كمال » .. « كيمو » ابنى .

وحينما لم يتلق ردًا منه ارتمى على صدره ، وانخرط فى بكاء مرير ، وهو يردد :

ـ ليتنى مت قبل أن أراك هكذا يا بنى .. ليتنى مت .

وخفق قلب الفتاة لأول مرة منذ مجىء الرجل ، ووجدت نفسها تربت عليه مشفقة ، بينما عاد هو ينادى ابنه فى توسل ورجاء :

ـ « كيمو » .. قم يا « كيمـو » .. انهض يا فتى .. أنا بابا « عبده » .. هيا انهض .. الأبطال لا ينـامون هكذا ، وأنت بطل الأبطال هيا يا بطل .. هيا ..

ومضى الرجل يستحث ابنه على النهوض دون جدوى .. وازدادت الفتاة إشفاقًا عليه ، فعادت تربت عليه قائلة :

ـ إنه نائم يـا باشـا ليس أكثر .. لقد رأيتـه قبل أن ينام ، وكان بكامل عافيته .

ـ رأيتـه أين ؟

ـ سأروى لجنابك كل شىء .. تفضل .

وراحت تساعده على النهوض .. ونزلت بـه إلى قاعة الاستقبال ، ثم راحت تروى له ما حدث ، بينما الرجل يكـاد ينصهر من الذهول ، وراح يتساءل بذهوله :

ـ ابنى كان هنا كل هذه السنوات ولا أعلم ؟!

وأجابته « أحلام » فى حزن :

ـ للأسف يا باشا ، هذه هى الحقيقة .. « كمـال » لم يكن هاربًا خارج « مصر » كما كنا نعتقد جميعًا ، وكمـا زعم البوليس ووسائل الإعلام .

عاد الرجل يهتف وهو يكاد يُجن :

ـ كيف حدث هذا ؟! كيف ؟!

وإذا بالشماتة الغامضة تعود إلى نبرة الفتـاة ، ممزوجـة بمرارة الدنيا كلها وهى تسأله :

ـ ألا تعلم كيف حدث هذا يا باشا ؟ هل حقًا نسيت ؟ مأساته يا باشا .. مأساته التى لا يحتملها بشر هى التى فعلت به هذا .

وإذا بالرجل يهتف فى سخط :

ـ بل الشيطانة .. الشيطانة .

وإذا بها تجيبه وهى تكظم سخطها :

ـ الشيطانة التى أرغمته جنابك على الزواج بها .

بُهت الرجل .. هوى الرد على رأسه كالحجر .. نكس رأسه مرددًا فى وهن ورجاء :

ـ لا تنكئى الجراح يابنتى .

وكان ردها فى مرارة :

ـ الجراح لم تلتئم من الأصل يا سيدى .. ومـا الحـال التى عليها ابنك الآن سوى ذروة المأساة .

ولم يجد الرجل ما يقولـه .. ظل مطرقًا إلـى الأرض فـى انكسـار وعذاب ، وكـأن الحقيقـة حطمت عنقـه .. ووجدت الفتاة نفسها تشفق عليـه مـرة أخـرى ، رغـم مرارتها منه ، ووجدت نفسها تعتذر له :

ـ أنا آسفة يا سيدى .

وكان رد الرجل عليها فى تمزق :

ـ لا عليك يابنتى .. أنـا أدرك جيدًا مـا اقترفتـه فـى حق ابنى .

ـ المهم الآن أن تدرك ابنك نفسه يا سيدى .

ـ نعم يابنتى .. هذا هو المهم الآن .

وأطرق قليلاً مفكرًا ، ثم أردف :

ـ من الواضح أنه فى حاجة إلى مصحَّة نفسية فورًا .

وفوجئت الفتاة :

ـ مصحَّة نفسية ؟!

ـ نعم يابنتى .. حالته هذه تتطلب مصحَّة .. وبسرعة .

وإذا بـ « أحلام » تهب واقفة ، قائلة :

ـ لا يا باشا .. لا .

فوجئ الرجل .. سألها فى دهشة وهو ينهض :

ـ لماذا يابنتى ؟

ـ لأن هذا لن ينقذه ، بل سيدمره فور إفاقته .

ـ يدمره ؟!

ـ نعم يا سيدى .

ـ كيف ؟

صمتت هنيهة محاولة التخفف من انفعالها ، ثم راحت تطرح للرجل ما لديها :

ـ « كمال المشرفى » يا سيدى ليس شخصًا عاديًا .. لقد كان بطلاً عالميًا .. واسمه كان له دويُّه .. ثم إذا بهذا البطل العالمى ، صاحب الاسم المدوى يتحول إلى بطل مأساة .. مأساة كانت بمثابة بركان من الفضائح .. ثم إذا به يختفى فجأة فى ظروف غامضة ، ويجىء اختفاؤه هذا بمثابة غطاء فولاذى كتم البركان برمته .. فماذا ستكون الحال إذا ما نزعنا نحن الآن هذا الغطاء فجأة ؟

أُسقط فى يد الرجل .. وجد نفسه يسألها متحيرًا :

ـ ماذا يعنى ذلك ؟ أن يظل مختفيًا إلى الأبد ؟

ـ لا يا سيدى ، ما عنيت ذلك ، وإنما عنيت أن يأتى ظهوره بطريقة تجنبه انفجار هذا البركان مرة أخرى .

ـ وما عساها تكون هذه الطريقة يابنتى ؟

ـ أن يظهر « كمال المشرفى » بطل المصارعة العالمى ، لا بطل المأساة المخزية .

وكان رد الرجل وهو يكاد يموت اختناقًا :

ـ يابنتى ، أنا لا يهمنى بطل العالم .. يهمنى ابنى .. ابنى المكوم هكذا مثل كوم من القاذورات ، ولا نعلم ماذا به .. إنه بهيئته هذه يبدو كأنه فقد عقله .. لابد من فحصه فورًا ، وهذا يحتاج إلى أطباء ، وإلى تجهيزات طبية .. ومؤكد سيحتاج إلى علاج ، فأين سيتوفر كل هذا إن لم يكن فى مصحَّة ؟

وكان رد الفتاة بسرعة وحسم :

ـ هنا يا سيدى .. هنا سيتم علاجه ، ورعايته ، وعمل كل ما يلزمه حتى يعود « كمال المشرفى » .

فوجئ الرجل :

- ولكن يابنتى ....

قاطعته :

- أرجـوك يا باشـا .. هـذا لصـالحه .. وأعتقـد أن سيادتك على استعداد لعمل أى شىء فى صالحه .

تطلع إليها الرجل حائرًا لبرهة ، لم يملك بعدها إلا أن يقول :

- لك ما تشائين يابنتى .

واستدار جالسًا بمقعده ، ثم إذا به يخرج دفتر شيكاته من جيبه ، ويحرر شيكًا ، ثم ينهض به قائلاً للفتاة :

- تفضلى يابنتى .

دُهشت الفتاة .. سألته وهى تمسك بالشيك .

- ما هذا يا باشا ؟

- مائة ألف جنيه ، ولا تترددى فـى طلـب أيـة أمـوال أخرى تحتاجين إليها .

عادت تسأله بنفس دهشتها :

- أحتـاج إليهـا فـى مـاذا يا سـيدى ؟! فـى عـلاج « كمـال » ؟!

وانطلقت من عينيها نظرة عتـاب مريرة اخترقت الرجل ، ثم استطردت تسأله فى مرارة :

- لماذا يا « عبد الرحمن » باشا ؟ لمـاذا أنت مصـرًا على هذا ؟

دُهش الرجل :

- على ماذا يابنتى ؟

- على أن تُبقى حـاجزًا منيعًا بينـى وبينـكم .. على أن تشـعرنـى دائمـًا بأننـى لا أستحق شـرف الاقتـراب منكم .

بُهت الرجل .. أسرع يجيبها فى حرج :

- إطلاقًا يابنتى .. أنا لم أقصد ذلك قط .

أفلتت منها سخريتها :

ـ لم تقصده ؟! بل هذا هو السبب الحقيقى فى هذه المأساة التى تنهشنا جميعًا الآن دون تمييز .

وخزت الحقيقة قلب الرجل .. أطرق معاتبًا الفتاة فى ألم :

ـ عدت تنكئى الجراح يابنتى .

أمسكت دموعها بالكاد وهى تجيبه :

ـ أنت الذى تدفعنى إلى هذا يا « عبد الرحمن » باشا .

لم يجد الرجل ما يزود به عن نفسـه ، ولم يملك إلا أن يربت عليها ، قائلاً فى حنو ورجاء :

ـ دعينا نفعل الصواب الآن يا « أحلام » .. دعينا ننقذ « كيمو » .

ـ إذن تفضل هـذا ، وامنحنا بدلاً منه أبوتك ، فهى التى نحتاجه الآن ، لا المال .

ومدت له يدها بالشيك ، ولم يملك هـو إلا أن يتناولـه منها على استحياء ، ثم إذا به يرفع عينيه إلى وجهها ، ويأخذ فى تأمله بنظرة يتزاحم فيها التعجب والإجلال ، ثم إذا به يسألها :

ـ أما زلت تحبين « كيمو » يا « أحلام » ؟

وفوجئت « أحلام » بالسؤال .. ووجدت نفسها تتطلع إليه بنظرة مرارة عميقة ، عمـق الجرح والسنين ، ثم تجيبه بكل مرارتها :

ـ ياااه يا جناب السفير ! سؤالك هذا تأخر كثيرًا .. لو أنـك سألتنى إياه قبل تسع سنوات ، لتبدلت أمور كثيرة ، ولكنا الآن فى حال غير الحال .

ولم يملك الرجل إلا أن ينكس رأسه ، وقـد حط فوق كاهله كل خزى البشر .

* * *

الفصل الرابع

انتهى فحص فريق الأطباء للعملاق إلى تشخيص قاطع لحالته :

« فقدان للذاكرة » .

ورغم أن الحالة من بدايتها لم تكن تدعو لأى تفاؤل ، إلا أن صدمة الأب والفتاة كانت كبيرة .. ووجدت الفتاة نفسها تسأل الأطباء بدهشة :

ـ ألا يأتى فقدان الذاكرة فقط من تعرض الرأس لحادث أو إصابة شديدة ؟

وأجابها الدكتور « فؤاد إسكندر » طبيب الأمراض النفسية الشهير :

ـ لا بالطبع .. هناك أسباب أخرى عديدة ، منها الصدمات العصبية أو الضغوط النفسية الكبيرة التى تعرض لها المريض .. وهذا هو بالفعل ما حدث مع « كمال » .

وتدخل الأب سائلاً الطبيب :

ـ وماذا عن العلاج يا دكتور ؟

وأجابه الطبيب فى أسى :

ـ للأسف يا جناب السفير .. الحالة صعبة .

جزعت « أحلام » :

ـ ماذا تعنى يا دكتور ؟ هل الأمل فى شفائه ضعيف ؟

وأجابها طبيب آخر :

ـ حتى وإن كان ضعيفًا فهو موجود ، وعلينا التشبث به .

وأشعل الدكتور « فؤاد » غليونه الفخم .. ثم نظر إلى الأب والفتاة قائلا :

ـ بدايةً .. يجب أن نعلم أنه فى الطب النفسى لايتوقف شفاء المريض على الطبيب بمفرده .. لابد له من عون طرفين آخرين : المريض نفسه ، ثم المقربين منه .

وأخذ الطبيب الكبير نفسًا من غليونه الفخم ، ثم استطرد قائلا :

ـ فالمريض النفسى أشبه بالغريق .. ومرضه ليس سوى أزمة يغرق فيها .. أزمة يمكن تشبيهها بدوامة عنيفة تحاول جذبه إلى القاع .. وعليه أن يقاومها .. وأن يتشبث بأية يد تمتد له .. ومن هنا يأتى دوره فى مساعدة نفسه .

وبلغ الأب والفتاة ما يعنيه الطبيب .. ولكن دراية الفتاة بجذور المأساة جعلتها تغمغم فى تشاؤم :

ـ هذا إذا كان الغريق يريد النجاة لا الانتحار .

وكان رد الطبيب عليها :

ـ وهذا وارد يا مدام « أحلام » .. ومن هنا يأتى دوركم أنتم .

ـ دورنا نحن ؟!

ـ نعم .

وأردف الطبيب موجهًا حديثه للأب والفتاة معًا :

ـ هناك أمور خاصة جدًا بالمريض لايعلمها عنه سوى المقربين منه .. أمور بعضها يثير آلامه ومواجعه ، ويدفعه إلى بغض الحياة والسخط عليها .. وبعضها الآخر يمنحه السعادة والبهجة ، والرغبة فى الحياة ، بل وتمده بالقوة التى يحتاجها لمقاومة أية محنة تصادفه ، مهما كانت ضراوتها .. ومن هنا يأتى دور هؤلاء المقربين .. بل إن دورهم هذا قد يجعلهم فى بعض الحالات ينجحون فيما فشل فيه الطبيب .. وليست هذه بمبالغة منى .

وللمرة الثانية بلغت الرسالة الأب والفتاة .. ووجد الأب نفسه يغمغم فى حسرة :

ـ ليت شفاءه بيدى حقًا ، لأفتديه بحياتى .

وأجابه الطبيب الثالث فى حنو :

ـ إن شاء الله سوف يشفى وتسعد به يا جناب السفير .

واختتم الدكتور « فؤاد » الحديث قائلاً للأب والفتاة :

ـ من باكر سنبدأ برنامج العلاج .. وسنتناوب فيه أنا وزميلاى الفاضلان .

ونهض الأطباء الثلاثة مستأذنين فى الإنصراف .. وصحبتهم « أحلام » حتى باب القصر الداخلى وإذا بها تسألهم :

ـ لماذا لايتكلم ؟ هل فقدانه للذاكرة يمنعه من الكلام ؟

وكان رد الدكتور « فؤاد » :

ـ هذا عرَض جانبى ، سيزول مع العلاج .

ومضى الأطباء .. بينما عادت الفتاة إلى السفير ، فإذا به يجلس فى مقعده ، مطرقًا إلى الأرض ، وقد انحدرت دموعه على خديه .. وفوجئت الفتاة الملمة

جيدًا بطبيعة الرجل الأبعد مـا تكـون عـن الدمـوع .. فأسرعت تسأله فى جزع وهى تجلس إلى جواره :

ـ ما هذا يا « عبد الرحمن » باشا ؟!

أتبكى ؟!

رفع الرجل وجهه عن الأرض ، ناظرًا إليها بدموعـه وبعذاب لا يحتمل :

ـ إنه ابنى يا « أحلام » .. ابنى الوحيد .

خفق قلـب الفتـاة بشدة لذبحـة الرجل .. مـدت يدهـا تمسح له دموعه قائلة له فى تبسم جميل وحنو :

ـ إن شاء الله سوف ينهض مـن كبوتـه يـا باشـا ، ويعود أفضل مما كان .

أطرق الرجل للحظـة مقاومًا عذابه .. ثـم عـاد ينظر إليها قائلاً فى تمزق :

ـ لقد انتهت إجازتى ، وعلىَّ أن أكون فى « مدريـد » غدًا .

وكان ردها بحنانها الجميل :

ـ بالسلامة يا باشا .. سافر .. سافر وكن مطمئنـا .. « كيمو » فى عينى ، ولن يكون لـى شاغل سواه حتـى يعود أروع وأعظم مما كان .

فاح الأمل فى قلب الرجل :

ـ أحقًا يابنتى ؟ أيمكن أن يعود « كيمو » الرائـع الذى نعرفه ؟

وإذا بها تجيبه فى ثقة عجيبة :

ـ وأعظم يا باشا .. وأعظم .

ودُهش الرجل لثقتها هذه .. ووجد نفسه يتأملها بقلب منشرح .. وإذا بشىء فى وجهها يريحه .. براءة عذبـة تلمس القلب .. وإذا به يتذكر عملها كممثلة .. وإذا بسؤال عجيب يمرق فـى خـاطره : « أيمكـن لممثلـة تتلـون مشاعرها بعدد أدوارها التى تؤديها أن تحتفظ لنفسـها بشىء من براءة الإنسان ؟! »

وراحت نظراته تحلق على وجهها مفتشة عن جـواب لسؤاله .

* * *

الفصل الخامس

ما إن جلســت « أحــلام » و« نهال » أمـام « محمد أبو السباع » ، المنتج السينمائى الشهير ، حتـى فوجئ الرجل بالأولى تمد له يدها بمظروف كبير ، تناولـه منها وهو يسألها فى بشاشة :

ـ ما هذا يا صديقتى ؟

أجابته واجمة :

ـ عقد الفيلم يا أستاذ « محمد » .

ـ أى فيلم ؟!

ـ فيلم حضرتك .

انقلبت سحنة الرجل :

ـ فيلم حضرتى ؟!

ـ أنا آسفة يا أستاذ « محمد » لدىّ ظروف خاصة لن تمكننى من العمل هذا الموسم .

انتفض الرجل واقفًا كمن لدغته عقرب :

ـ ماذا ؟!

اضطربت « أحلام » من فزعة الرجل ، ولكنها استماتت فى إخفاء اضطرابها وهى تقول :

ـ إنها ظروف خارجة عن إرادتى يا أستاذ « محمد » .

انفجر الرجل صارخًا ، وكل كتل جسده السمين ترتـج من فرط عصبيته :

ـ ظروف تمنعك من العمل فى فيلم كهذا ؟

وأشفق بقية الجالسين فى الغرفة علـى الرجـل .. وتدخل « خيرى عبد الغفار » المخرج ذائع الصيت ، محاولاً تهدئته :

ـ اهدأ يا أستاذ « محمد » .

التفت إليه الرجل بصراخه :

ـ ألا تسمع ما تقول يا « خيرى » ؟!

التفت المخرج إلى « أحلام » يسألها :

ـ ما الحكاية يا مدام « أحلام » ؟

وأجابته « أحلام » وهى تكاد تبكى :

- إنها ظروف طارئة ، وخارجة عن إرادتى فعلاً يا أستاذ « خيرى » .. ظروف أقوى منى .

- ظروف تجعلك تضيّعين من يدك فرصة كهذه ؟! إنه يكاد يكون أكبر فيلم فى تاريخ السينما المصرية .

قاطعه « أبو السباع » صارخًا :

- أخبرها يا أستاذ ! أخبرها ! لقد رصدت له عشرين مليونًا من الجنيهات .. وحشدت له جهابذة صناع السينما فى مصر .. وتعاقدت على توزيعه فى شتى أرجاء العالم .. ومنذ عام أو يزيد لاحديث لوسائل الإعلام إلا عنه .. وعن بطلته « أحلام فريد » .. ثم فجأة وقبل بدء التصوير بأيام تأتى النجمة المحترمة لتعتذر بهذه البساطة ، وتهدم كل ذلك ؟!

وأسقط فى يد « أحلام » ، ولكنها أسرعت تتحصن بمكابرتها المعهودة قائلة :

- لا يا أستاذ « محمد » .. لن يُهدم شىء فهناك أكثر من زميلة تضع عينيها على هذا الدور ، وتنتظر إشارة منك .. وأنت تعلم ذلك جيدًا .

استفزه ردها أكثر :

- ولكننى فضلتك أنت عليهن جميعًا ، أفيكون هذا جزائى ؟! أن تخربى بيتى ؟! لقد تعاقدت مع الموزع على أنك البطلة .. وبنيت الدعاية كلها على أنك البطلة ..

وإعدادك أنت نفسك لهذا الدور استغرق ما يزيد على العام .. فكيف يمكن استبدالك بممثلة أخرى غيرك الآن ؟ كيف ؟

وتدخل مؤلف الفيلم محكمًا الحصار حول المسكينة :

- يا مدام « أحلام » .. نحن جميعًا نعلم أنك نجمة كبيرة .. وقمت ببطولة أكثر من عشرين فيلمًا .. وحصدت الكثير من الجوائز .. ولن يؤثر فى نجوميتك تركك لفيلم أو أكثر .. ولكن هذا الفيلم تحديدًا يصعب تعويضه .. إنه فيلم علامة .. وقد يصل بالعاملين فيه إلى العالمية .. وقد يكون بداية مجد حقيقى لك ولنا جميعًا .. أى إنه فى النهاية فرصة عمر .. فهل تفرطين فيها مهما كانت تلك الظروف التى تتحدثين عنها ؟

وصمت الرجل فى انتظار جوابها .. وتعلقت عيون زملائه معه بنجمتهم فى توتر ، فإذا بها تتلفت حولها فى اختناق ، وقد طفحت على وجهها بوادر الانهيار ، حتى إن « أبو السباع » نفسه أخذته الشفقة عليها ، فعاد يجلس فى مقعده مرة أخرى .. ثم نظر إليها قائلاً فى ود :

ـ « أحلام » .. نحن أصدقاء قبل أن نكون زملاء مهنة .. فإذا كانت لديك مشكلة ضغطت عليك إلى هذا الحد ، دعينا نواجهها معك .. وبإذن الله سوف نجد لها حلاً ، مهما كانت وعورتها .

وصمت الرجل متطلعًا إليها فى رجاء ، وعادت عيون كل الموجودين فى الغرفة تتعلق بها فى انتظار جوابها ، بينما هى مطرقة إلى الأرض ، وكأن عنقها سُحقت تحت وطأة هذا الموقف الرهيب ، والذى تتعرض له لأول مرة فى حياتها .. وطال إطراقها .. ولكنها فى النهاية رفعت وجهها نحو أصدقائها قائلة لهم فى حزن صادق :

ـ أنا آسفة يا أصدقائى .. حقيقى آسفة .. إننى أدرك جيدًا حجم الصدمة التى سببتها لكم .. وأدرك أننى خيبت

رجاءكم .. وأدرك أننى بقرارى هذا سأخسر الكثير .. فمن المؤكد أن خسارتى لن تقف عند حد الفيلم ، بل إننى قد أخسركم أنتم أنفسكم ، لأننى خسرت ثقتكم فىّ .. أدرك كل هذا .. وأتمزق بسببه .. ومع ذلك لا يمكننى التراجع ، لأن ظروفى لم تدع لى خيارًا .. فأرجوكم سامحونى .. ولا تزيدوا عذابى بغضبكم منى ، فنحن قبل كل شىء أصدقاء كما قلتم .

وصمتت الفتاة وقد امتقع وجهها بشدة من هول آلامها التى تنهشها .. وأطرق الجميع محزونين .. بينما أدرك المنتج البائس أنه لاجدوى من أية محاولة أخرى ، فمال برأسه فوق كفيه فى غم .. ولم يعد أمام « أحلام » إلا النهوض والانصراف .. ولكنها قبل أن تخرج من الباب سمعت صوت المخرج يناديها :

ـ مدام « أحلام » !

التفتت إلى الرجل بعذابها الضارى :

ـ نعم يا أستاذ « خيرى » .

وإذا بالرجل يقول لها فى مرارة طاغية :

- إذا كانت هـذه التضحية الغالية لأجل إنسان ما ، فتأكدى أولاً أنه يستحقها .

وكـادت الفتـاة تجيبـه بشـىء ، ولكنهـا أمسكت عـن الكلام .. واستدارت منصرفة مع صديقتها .

★ ★ ★

الفصل السادس

طـول طـريق عودتهمـا إلى القصر ، راحت «نـهـال» تكابد رغبتها الجامحة فى مفاتحة صديقتها فيما فعلت ، ولكنها كانت كلما همت بأن تفعل أحجمت .. فقد كان واضحًا أن «أحلام» بمغادرتها لمكتب المنتج قد تحولت إلـى بركـان مكتوم يغلى فى مكمنه .. وأن كلمة واحدة كافيـة لتفجيره .. لذلك ظلت «نـهال» طوال الطريق قابضـة علـى لسـانها ورغبتها حتى بلغتا القصر ، فإذا بـ «أحلام» تقفـز مـن السيارة ، منطلقة جريًا إلى غرفة العملاق ، وتفتحها فى لهفة طاغية لتجده كما تركته قبل ساعات .. راقدًا فى فراشه على جانبه ، فاتحًا عينيه بنفس سكونه وشروده الموصول .. كان وجهه الخمرى نضرًا صافيًا .. وكـان شعره الأسود الناعم ، ممشطًا إلـى الخلف ، مسترسلاً حتى كتفيه .. وكان يرتدى روبًـا أنيقًا كريمى اللـون .. وكان شذى بارفانه يفـوح منه فى أنحـاء الغرفة وكأنه شجرة ورد .

وراحت الفتاة تدنو منه ، تسبقها نظراتها ملهوفة معتذرة .. وجلست إلى جواره على حافة الفراش ، وراحت تجوس بأصابعها الرقيقة فى شعره هامسة بانفعال :

ـ آسفة يا حبيبى .. تأخرت عليك .

ومالت بشفتيها على خده ، موقعة اعتذارها بقبلة ، رقيقة ، ثم أردفت :

ـ حالاً سيكون العشاء جاهزًا .. حالاً ..

وضغطت زرًا مثبتًا فى السرير ، فإذا بأنغام حالمة غاية فى العذوبة تنساب فى الغرفة معانقة عبير البرفان .

ومن الفراش إلى العشاء فى قاعة الطعام .. إلى شرفة القصر المطلة على البحيرة ، حيث أجلسته وجلست قبالته ممسكة بيديه ، مطلقة نظراتها الوالهة تحلق على وجهه ، بينما قلبها بين ضلوعها يرفرف هاتفًا :

ـ حبيبى .

ولكن حبيبها لم يكن معها ، ولا فى دنياها بالمرة .. وانطلقت نظراته بعيدًا بعيدًا ، مسافرة فوق صفحة البحيرة الرحيبة ، المتلألئة بنور القمر المكتمل فوقها ..

وعزَّ على الفتاة رحيله عنها وهى بين يديه .. ووجدت نفسها تناديه بقلبٍ باك :

ـ حبيبى .. أنا « أحلام » .. أنا حبيبتك .. قطتك الحلوة الشقية .. أنا من غنت لك « ما أروعك » .. أنا من رقصت لك على أغنيات « روبى » التى تعشقها .. أنا من ذابت معك فى شدو « حليم » .. أنا من أشعلت لياليك بجنونى .. أنا .. أنا ..

أنا يا حبيبى ..

أنا من وعدتك بالخلود فى جنتى .. أنا ..

أنا من طمأنتك بأننى الوفاء نفسه .. أنا ..

وإذا بصوت الفتاة ينكسر .. وإذا بها تردف بالدموع :

ـ وأنا من نكست بوعودى .. أنا .

أنا من خذلتك بجبنى .. أنا .

أنا من ضيعتك يا أغلى الناس .. أنا .

أنا من فعلت بك هذا .. ولكن رغمًا عنى يا حبيبى .. رغمًا عنى .

وهوت الفتاة فوق يدىَ حبيبهـا ، تقتل نفسها نحيًا وندمًا ..

★ ★ ★

وانتظرتها « نهال » حتى عادت إلى غرفتها ، ومضت إليهـا .. كانت غرفة شديدة الرومانسية .. كل مـا فيها يعكس رهافة حس صاحبتها .. ألوانها التى يغلب عليها الأبيض والـوردى .. إضاءتها الخافتة الحالمة .. تلك الورود الطازجة الفواحة المطلـة من زهريتها العاجية البيضاء بجوار الفراش .. ذلك البوستر الضخم الشهير لحبيبى فيلم « تيتانك » « جاك » و« روز » .. وأخيرًا ذلك الدبدوب المشمشى الجميل الذى استقر فى حضن صاحبة الغرفة ، وهى راقدة فى فراشها ، فاتحة عينيهـا الدامعتين ، فى شـرود حزيـن ، جعلهـا لا تنتبـه إلـى صديقتها وهى تدخل عليها ، حتى جلست إلى جوارها على حافة الفراش وهى تقول :

ـ كنت أعلم أنك لن تستطيعى النوم .

وأجابتها « أحلام » بشرودها الحزين :

ـ وأنا كنت أعلم بأنك لـن تنـامى حتى تفـاتحينى فى موضوع الفيلم .

ـ لماذا فعلت ذلك ؟

ـ من أجل حبيبى .

دُهشت « نهال » :

ـ حبيبك ؟! حبيبك من ؟!

ـ « كيمـو » .

بُهتت « نهال » :

ـ « كيمـو » ؟!

وأردفت مذهولة :

ـ هذه البقايا التى لا تدرى من أمرها شيئًا ؟!

ـ « نهال » ؟!

صرخة هادرة كادت تصرع « نهال » ، انطلقت من « أحلام » ، وهى تنتفض جالسة كوحش ضار ، ماضيـة فى صراخها :

ـ ما بالك يا فتاة لا تكفين عن النطح ؟!

وُصعقت « نهال » ، حتى إن الدمـوع طفحـت مـن عينيها ، وهى تحدّق فى صديقتها مرتاعـة .. وهبطت ثورة « أحلام » أمـام دموع الفتـاة وفزعهـا ، ولكنهـا وجدت نفسها تسألها فى ذهول :

ـ كيف جاءتك الجرأة لأن تقولى هذا فى « كيمو » ؟! أما تدرين من يكون ؟! إنه أعظم رجال الأرض .. وهـذا الذى فيه الآن ليس سـوى محنـة .. محنـة وسـوف تزول .

ولم تفهم « نهال » ، وعادت تسألها فى دهشة :

ـ وهل معنى هذا أن تضحى من أجله بفرصة عمرك ؟

ـ وبعمرى كله إذا احتاج إليه .

تطلعت إليها « نهال » حائرة وهى تقول :

ـ برغم أننـا صديقتان يا « أحلام » فإنه يصعُب علىَّ فهمك فى هذا الموقف .

ـ مع أنك امرأة مثلى ، والمرأة لا يفهمها ولا يحسـها أكثر من امرأة مثلها .

ـ إلا فى هذا الذى فعلته يا صديقتى .. إنه انتحار .

وإذا برد « أحلام » فى تبسُم حزين :

ـ بل هو استعادة حياة يا فتاة .

وعادت إلى « نهال » دهشتها :

ـ استعادة حياة ؟!

ـ نعم يا « نهال » .. استعادة حياتى التى اُغتُصبت منى يومًا ما .

وازدادت دهشة « نهال » :

ـ وهل كانت النجمة الساطعة « أحلام فريد » التى تملأ حياة الملايين بهجة وسعادة فاقدة لحياتها ؟

وأجابتها النجمة بكل مرارة :

ـ نعم يا صديقتى .. كنت ميتة .

واستدارت النجمة الحزينة ، مقتربة من « جاك وروز » ، ورفعت عينيها تتأملهما وهى تقول :

ـ لا حياة لإنسان إلا بالحب يا « نهال » .. فإذا ما فقد الحب صار ميتًا يمشى على قدمين .. فالأموات ليسوا فقط أولئك الذين يرقدون فى القبور .. بل هناك كثيرون يسعون فوق الأرض وهم أموات .. إما لأنهم بلا قلوب ، أو لأن قلوبهم ذُبحت يومًا ما .. وقد كنت ومازلت واحدة من الصنف الأخير ، حتى يعود إلىّ « كيمو » حبيبى .

ـ إلى هذا الحد كنت تحبينه ؟!

استدارت إليها النجمة الجميلة متسائلة فى دهشة واستنكار:

ـ كنت ؟!

ثم أردفت وقد سطع الحب فى عينيها كشمس الضحى :

ـ وما زلت أحبه .. وسأظل أحبه حتى وروحى تغادر جسدى !!

* * *

قبل عشر سنوات تقريبًا جاءت لـ « أحلام » الفرصة التى انتظرتها طويلاً ، وضحّت لأجلها بالكثير الذى لا يُعوض ، وذاقت فى سبيلها الأمرّين على درب الفن : بطولة مطلقة لفيلم سينمائى .. ولم تصدّق الفتاة نفسها وهى تطير إلىٰ « اليونان » ضمن بعثة الفيلم ، لتصوير بعض مشاهده هناك ..

وبالرغم من أنها كانت المرة الأولى للفتاة التى تغادر فيها وطنها ، فإنها فوجئت بعدم شعورها بأية غربة هناك .. فقد فوجئت بمجرد خروجها من بوابة المطار بفرح عالمى هائل منصوبًا فى أرجاء « أثينا » .. فرح « الدورة الأولمبية » المقامة على أرضها .. وفوجئت أكثر بأن أحد عرسان هذا الفرح بطل مصرى فى المصارعة يُدعى « كمال المشرفى » .. لم تكن الفتاة تعرفه أو سمعت به .. فلم يكن لها علاقة بالرياضة من قريب

أو بعيد .. ولكن حينما راحت عيناها تقعان على صوره بالحجم الطبيعى ، منصوبة فى شوارع وميادين العاصمة الأوروبية العريقة ، وهو يقف مزهوًا بقوتــه ، وبقوامـه المفتول ، مطلقًا نظرة صقر متحدية إلى الأفـق فـى ثقة مذهلة وشموخ ، خفق قلبها على الفور ، لا إعجابًا به ، ولكن انبهارًا بهذا الرمز الخرافى لمصر .. فالمصرى هو أكثر إنسـان علـى ظهر الأرض يحمل وطنـه فـى قلبه أينما ذهب ، فإذا ما صادفته فى غربته أية لمحة طيبـة عن هذا الوطن خفق قلبه على الفور بالفرحة والزهو .. فما بـال ابنة « مصر » حينما تُفاجأ بوطنها كوكبًا ساطعًا بهذه العظمة فى أعرق مدن أوروبا .. يومها كان أول مطلب لها من المسئول عن برنامج الرحلة ، هو أن يحجز لها فـى جميع مباريات « كمال المشرفى » ، ولكنها فوجئت بـرد المسئول بأن المباراة القادمة له هى مبـارة النهـائى فـى البطولة .

وذهبت ابنة مصر لتشجيع ابـن بلدهـا ، لتجد نفسها وسط ما يزيد على المائة ألف مشجع من مختلف أنحاء العالم ، يهتف السواد الأعظم منهـم لـ « كمـال المشرفى » فى مواجهة خصمه الأمريكى .. بينمـا بطلهـم يرد تحيتهـم

من داخل الحلبة ، وهو يدور فيها كفهدٍ متوثب يتفطر شراسة وقوة .

ثم فجأة أطبق الصمت .

واحتبست الأنفاس ..

فقد بدأت المباراة ..

وإذا بانبهار الفتاة يتحول على الفور إلى صدمة وهلـع .. فقد فوجئت بوحشية هذه الرياضة التى لم تكن قد شاهدتها قط من قبل .. وهوى قلبها فى قدميها وهى تشاهد بعينيهـا ما يفعله المصارعان العملاقان ببعضهما .. لقد راحا يطحنان فى بعضهما طحن المـوت .. وراح قلبهـا ينتفض فزعًـا وألمًا وهى ترى ابن بلدها يخوض هذا الصـراع الدامـى ضد الدبابة البشرية الأمريكية الهائجة .

لحظات رهيبة راحت تمر على المائـة ألف المحتشدين فى المدرجات ، وهم يشاهدون الصراع بين المصارعين الشرسين يزداد ضراوة إلى حد الوحشية ..

وصمت مطبق لا يقطعه سوى صوت المعلّق الرياضى على المباراة ..

وترقب يحبس الأنفاس ، وينهش الأعصاب بلارحمة ..

وإذا بكفة الدبابة الأمريكية تأخذ فى الرجوح .. وإذا بالإحباط يبدأ فى التسرب إلى الأغلبية ، وهم يشاهدون البطل العربى يتلقى موجة ضربات ساحقة من خصمه ، جعلت بعضهم يغمض عينيه ، حتى لا يرى البطل وهو يسقط حطامًا على الأرض ..

وإذا بمفاجأة مذهلة تنفض الجميع ..

الفهد العربى يقفز فى الهواء قفزة هائلة ، ليسدد ركلة شيطانية قاتلة فى رأس الطاوس الأمريكى ، جعلته يسقط فى مكانه على الفور فاقدًا الحركة والنطق ، وليقفز الفهد قفزته الأخيرة جاثمًا فوقه ولا يتركه إلا والحكم يطلق صفارته منهيًا المباراة ، ورافعًا يده معلنًا فوزه ببطولة العالم .. لينفجر الزلزال .. زلزال عنيف مريع ، راح يرج الاستاد بأسواره ، وأبنيته ، ومدرجاته ، وبشريته ..

زلزال الفرحة ..

فرحة عشرات الآلاف الذين تحولوا فى غمضة عين إلى بحر هائج ، جُنت أمواجه ..

أما ابنة « مصر » فقد فوجئت ببركان من المشاعر ينفجر فى أوصالها .. فرحة جبارة ، مع انبهار لاتحتمله أعصاب ، مع فخر هيستيرى .. كل هذه المشاعر اجتمعت عليها لتصيبها بحالة هياج ، تجعلها تقذف بنفسها فوق هذه الأمواج البشرية الهائجة ، تريد الوصول إلى ابن بلدها هذا الواقف فى الحلبة ، يلوح لجمهوره العالمى المفتون به فى زهو وقوة ، وكأنه وحش خرافى يحمل الأرض بأثقالها على ساعديه .. تريد أن تختطفه فى حضنها .. أن تقول له (مبروك) بالأحضان .. بالقبلات .. بالكلمات .. بكل وسيلة تستطيعها .. ووجدت الفتاة نفسها تسبح فوق الأمواج الهائجة ، تتقاذفها الأيادى كالريشة ، حتى إنها لم تدر كيف بلغت الحلبة .. ولا كيف سقطت بين يدى البطل .. ولا كيف حدثت هذه الحركة التى أشعلت الجماهير جنونًا فوق جنونها .. لقد فوجئ بها العملاق بين يديه ، فما كان منه إلا أنه امتشقها من فوق الأرض ، رافعها إلى أعلى فوق قبضتيه ممددة ، وكأنها سمكة كبيرة قذفته بها هذه الأمواج الهائجة .. وراح العملاق الأسطورة يدور بالسمكة

الجميلة فى الحلبـة ، بينمـا السمكة تدور بعينيها على الجمهور ، وهو يحييها ، ويداعبها فى هوس جنونى ، بينما كـاميرات التصوير والأقمـار الصناعيـة تنقل هذا المشهد المذهل إلى سائر البشر فى أربع أنحاء المعمورة ..

وأنزل العمـلاق سمكته لتقـف بيـن يديـه ، محلّقـة بنظراتها على وجهه ، وقد ذاب كل ما فيها من خرافـة ما يحدث ، ومن انبهارها بهذا الآدمـى العجيب ، والـذى راح ينظر فى عينيها مباشرة ، لتجد نفسها مخطوفة فى بحر من الشهد المصفّى ..

وذابت السمكة .. ذابت .. ذابت .. ذابت .. حتى وجدت نفسها مفصولة تمامًا عن هذا الصخب المجنون الهـادر من حولهما .. وإذا بالبطل يسألها :

ـ من أنت ؟!

وأجابته وهى معلّقة بعينيه :

ـ مصرية بنت بلدك .

وإذا بـه يقـول ، وعينـاه تنهـالان بـالقبلات على كـل ما فى وجهها :

ـ بل تميمة سعدى .

وإذا بـه يحتضـن يدهـا الصـغيرة بقبضتـه ، ويرفعهـا ملوحًا لجمهوره الهائج فى المدرجات ، وللعالم كله عبر شاشات التليفزيون وكأنه يناشدهم إتمام فرحته وفرحتهم باعتماد هذه السمكة الفاتنة حبيبة له .

وهكذا جاء ميلاد حب العملاق والفاتنة ..

أروع ميلاد !!

وأعظم ميلاد !!

وأغرب ميلاد !!

ومن تلـك اللحظـة وجد الحبيبـان العجيبـان نفسيهما داخـل جنـة الحب .. تلـك الجنـة التـى لاتفتـح أبوابهـا إلا لملوك الحب .. هؤلاء الذين لايعرفون للمتعة حـدودًا .. ولايقبلون من إنس وصايـة أو قيودًا .. ولايلتفتون لحـاقد أو حسود ..

وفى تلك الجنة راح العاشقان ينهلان من رحيق الحب ومن شهده ، بكل ما فى شبابهما من ظمأ ومن شراهة ومن جنون ..

وفى جنتهما نسيا أنهما على الأرض .. وسط بشر .. قلوب بعضهم أنهارٌ وظلال ، وقلوب البعض الآخر أحجار ، أو أشد قسوة ..

نسيا ذلك ، وما كان يعنيهما أن يتذكراه .. حتى فوجئت الحبيبة بأن القلب الوحيد الذى يعنيهما فى هذا الكون ، والذى ملَكته الأقدار أمرهما من الصنف الأخير ..

قلب « عبد الرحمن المشرفى » !!

جناب السفير .. والد حبيبها .. الذى منَّت نفسها بأن يكون أبًا لها عوضًا عن أبويها الراحلين .. حيث راحت تتوق إلى عودته من « مدريد » حيث يمثل « مصر » هناك ليبارك لهما جنتهما ، ويهديهما مفتاح الخلود فيها .. فإذا به يعود لينسف تلك الجنة ، ويبدلها بجحيم مقيم ..

لقد جاءها الرجل من وراء ابنه ، وفى يمناه ملياردير عربى عجوز يطلب الزواج منها ، وفى يسراه السكين الذى يحمله كل ذى سلطان فى هذا البلد لأى فنانة تصطدم به ..

تلفيق قضية آداب !!

ولم يمر العام على المسكينة ، حتى كانت أرملة فى ريعان شبابها .

* * *

الفصل السابع

ثلاثة أشهر كاملة وفريق الأطباء يستميتون فى استعادة ذاكرة البطل المفقودة .. استخدموا معه أحدث ماتوصل إليه الطب من أدوية وأساليب علاج .. نصبوا له شاشة عرض ضخمة فى القصر ، وراحوا يعرضون له بطولاته وصولاته وجولاته فى حلبات المصارعة .. أحاطوه بكل ما حصده من جوائز وأوسمة ونياشين .. أغروه .. استفزوه .. فعلوا كل ذلك وأكثر دون جدوى ..

وانكسر الأمل فى قلب الأب .. بينما راحت « أحلام » تناشد الأطباء بألا ييأسوا أو يستسلموا .. وانهمرت دموعها ، وهى تتوسل إليهم أن يواصلوا محاولاتهم .. وكان رد الأطباء أنهم بذلوا كل ما بوسعهم .. ولم يعد أمامهم سوى انتظار معجزة من السماء .. وإذا بالأب يرفع عينيه إلى السماء بنظرة طويلة دامعة ، خلفها قلب متضرع ، معلق برحمة الله .. وإذا بخاطر خاطف يومض فى ذهنه كشهاب مارق ، فيلتفت إلى الأطباء متسائلاً :

ـ ألم تعرضوا له تسجيلات لبطولاته ؟

وأجابه الدكتور « فؤاد إسكندر » :

ـ نعم .. وكانت هذه إحدى محاولاتنا لتحريك ذاكرته .

ـ إذن ما رأيكم فيما هو أقوى من ذلك ؟

سأله الطبيب مندهشًا :

ـ ما هو ؟!

وأجابه الأب :

ـ لحظة واحدة .

وأسرع يطلب رقمًا فى « الموبايل » ، ثم إذا به يقول لخادمته فى القاهرة :

ـ « عزيزة » ! فى مكتبتى علبة قطيفة زرقاء ، بها أسطوانات (C.D) .. أرسليها فورًا مع « خضر » السائق .. قصر « أحلام فريد » ، بحيرة « قارون » .. بسرعة يا « عزيزة » .

وأغلق الرجل « الموبايل » ، ثم راح يهز رأسه فى أسى ، وكأنه مقبل على فعل ما كان يتمناه ، بينما اندفعت « أحلام » تسأله فى لهفة :

ـ مــاذا فـى هــذه الأسـطوانـات يا « عبـد الرحمـن » باشـا ؟

التفت إليها الرجل بنظرة اختنقت بكل أحزان البشـر ، ثم أجابها :

ـ سنرى معًا .

وجلس الجميع ينتظرون .. كـان أمـامهم علـى الأقل ساعتان من الانتظار ، مرتا عليهم وكأنهما الدهر بأبديتـه ، حتى دخل عليهم السائق بالعلبة المطلوبة ، ليختطفهـا الأب منه فى لهفة ، وهو يهتف فى الأطباء :

ـ فلنعرض له ما فى هذه الأسطوانات . وفى لحظـات كانت شاشة جهاز الكمبيوتر تضىء أمام عينى العمـلاق ، وقد التف من حوله الأب والحبيبة والأطبـاء .. وتعلقت عيونهم جميعًا وأعصابهم بشاشة الجهاز .

وإذا بزهرة ..

زهرة رائعة تشرق جمالاً وبهجة .. زهـرة فـى هيئـة طفلة لامثيل لها فى ملائكيتها وعذوبتها وسحرها ، تنطلق

لاهيـة فـى حديقـة كبيرة وارفـة ، تسبقها ضحكتها كتغريـدة كروان تسكره فرحته بأول تحليق له بجناحيه .. بينما البطـل العملاق يسعى خلفها معصوب العينين ، متظاهرًا بعجزه عن الإمساك بها ، والزهرة البريئة الفاتنة تضحـك وتضحك وتضحك .. سعيدة بفشله وبانتصارها عليه .. حتـى تشفق عليه ، أو تشتاق لضمة حضنه ، فتتركه يمسك بها ، هاتفًا :

ـ هـ يـ يـ يـ ية .. قبضت عليك .

والزهرة الفاتنة تجيبه بضحكتها الكروانية :

ـ شاطر يا « كيمو » .. شاطر .

وتتعلق فى رقبته .. ويضمها فى حضنـه ، ويدور بها فى الهواء كطائر « الرخ » وفرخه .

وتخفق قلوب الجميع ..

وتغمغم « أحلام » مذهولة :

ـ آلاء !!

ويتساءل الدكتور « فؤاد » فى دهشة :

ـ من تكون ؟

وتجيبه « أحلام » بذهولها :

ـ ابنته ..

ويغمغم الطبيب وقد ضربته المفاجأة :

ـ ابنته التى .....

وتقاطعه « أحلام » بكل مرارة الدنيا :

ـ نعم يا دكتور .. هى .. أولى ضحايا المأساة .

التفت الأطباء بسرعة إلى العملاق مستطلعين رد فعله .. فإذا بطيف من الانتباه والتركيز يرتسم على وجهه .. فراحوا يلتفتون إلى بعضهم متبادلين نظرات الدهشة .. والتفت الدكتور « فؤاد » بدهشته إلى السفير يسأله :

ـ كيف فكرت فيها يا « عبد الرحمن » باشا ؟

وكان رد السفير بسرعة :

ـ دعكم من هذا ، وتحسبوا لرد فعله .

وأدرك الأطباء ما يعنيه الرجل ، وما كان من الدكتور « فؤاد » إلا أنه هتف فى معاونيه :

ـ « مورفين » بسرعة !

ثم التفت إلى السفير و« أحلام » هاتفًا :

ـ استدعوا حرس القصر .

وفى لمح البصر كان الحراس فى القاعة .. وكان الجميع يحدّقون بأبصارهم المتوترة فى العملاق ، فإذا بعينيه محدّقتين فى الزهرة الفاتنة ، وهى تجلس أمام الكمبيوتر الخاص بها ، ممسكة بفارته ، تدير بها معارك ضارية على شاشة الكمبيوتر ، منتزعة فيها الانتصار تلو الانتصار .

ويلتفت الجميع إلى العملاق ، فإذا بشاشة الجهاز قد امتصت انتباهه تمامًا .. إنه جامد أمامها كالحجر ..

وتتوالى المشاهد للزهرة الفاتنة ، وهى تحلّق فى عالمها ..

ها هى تتلقى فى فمها قطع شيكولاته « جيرسى » التى تعشقها من يد البطل ، وهى تقول له « بحبك يا بابا » ..

وها هو البطل أمام المشهد أنفاسه تتلاحق ، وصدره يعلو ويهبط فى عصبية ..

وها هى فى حلبة المصارعة ، تضع إكليلاً من الورود فى عنق البطل ، وسط هياج عشرات الآلاف من جمهوره فى المدرجات ..

وها هو البطل ينهض من مجلسه ، متقدمًا من الشاشة بعيون جاحظة ، وأنفاس لاهثة ..

وها هى الطفلة الملائكية فى فراشها قبل النوم ، تضم وجه البطل بكفيها العصفوريتين هامسة له :

ـ بابا .. أحبك يا بابا .. أحبك ..

وها هى شفتى العملاق تتحركان فى ذهول ، تريدان النطق بشىء ما .

وها هى الطفلة العجيبة تأخذ عليه عهدًا يذيب الحجر :

ـ بابا لا تتركنى أبدًا .. وأنا لن أتركك أبدًا .. اوعدنى يا بابا !!

وانفجر الزلزال !!!!!

انفجر بصرخة مروعة مفزعة كادت تهدم القصر على من فيه :

ـ آلاااااااء .

هكذا جاء انفجار العملاق .. ولم يدر أحد من المحيطين به ما الذى كان ينوى فعله بعد صرخته هذه .. لأنهم لم يعطوه الفرصة ليفعل شيئًا .. فقد انقض عليه سبعة رجال ، هم جملة الخدم والحرس والأطباء ، ليشلوا حركته تمامًا ، بينما أسرع الدكتور « فؤاد » بحقنه « بالمورفين » ، ليترنح بين أياديهم ، ذاهبًا فى نوم عميق .

* * *

وعادت إلى البطل ذاكرته ..

وبعودتها عاد الماضى ..

عاد بعذاب السعير ..

عاد بالمأساة التى لا يحتملها بشر ..

وظهر ذلك على وجه المسكين وفى عينيه .. انقشعت منهما البلاهة كاشفة عن عذاب منحوت فى الوجه ، مصلوب فى العينين .. لم ينطق المسكين بحرف ، ولكن الصراخ المكتوم فى عينيه راح يفصح عن جهنم التى تشوى قلبه .... يا لعذابه !

وهنا أعلنها الأطباء للأب وللحبيبة :

ـ هنا يبدأ دوركما معنا .. نحن سنبدأ مرحلة أخرى من العلاج .. ولكن الأهم دوركما .

وإذا بجناب السفير يلتفت إلى الحبيبة ، قائلاً لها بكل خجل البشر :

ـ بل دورك أنت يا « أحلام » .. فالضحية يستحيل أن تقبل غوثًا ممن حاول قتلها .

ولم تجبه الفتاة بأكثر من نظرة مرارة ، أسرعت بعدها إلى حبيبها ، عازمة على انتشاله من تلك البركة اللعينة ، التي تجرى بين ضفتيها نيران مؤججة ..

لم يكن الأمر هينًا .. وكان عليها أن تتعامل معه بكل حذر وذكاء .. كان عليها أن تفتح للمسكين نافذة ، يخرج منها الجحيم الذى يفور بداخله .. ولم تكن تلك النافذة سوى نطقه .. بوحه .. الإفصاح عما به .. ولكن عليها قبل ذلك أن تنزع فتيله .. أن تأمن انفجاره .. من هنا راحت تتسلل إليه كصديقة أكثر منها كحبيبة .. ومن هنا راحت تحكى له كل ما يمكن أن يُحكى .. تحكى

فى ماضيها .. تحكى فى حاضرها .. تحكى فيما يسعدها ، وفيما يؤلمها .. تحكى كثيرًا كثيرًا .. إنها تذيقه راحة الحكى .. تذيقه بلسمه .. تغريه بمتعته .. تُعبِّد الطريق بين مشاعره ولسانه ..

وفى لحظة شعرت بأنها نجحت .. شعرت أن بمقدور مشاعره أن تنساب على لسانه دون ضغط أو انفعال .. فى تلك اللحظة كانا يقفان معًا على شاطئ البحيرة .. وكانت الشمس قد (لملمت) نفسها تمامًا داخل ذلك القرص الأحمر البللورى الساحر ، ووقفت فوق أقصى البحيرة تلقى على الكون بتحية الغروب ، قبل أن تنزلق خلف حجاب الأفق .. وقبالتها كان البطل يقف على الشاطئ إلى جوار حبيبته ، داسًا يديه فى جيبى بنطلونه الأبيض الكاجوال ، ومرسلاً ببصره نحو الأفق فى استغراق وتبسُّم أثار دهشة الفتاة ، وجعلها تسأله ، وهى لاتدرى إذا كان سيجيبها ، أو سيسمعها من الأصل :

ـ حبيبى فيم يفكر ؟

وها هى المفاجأة !

ها هو يجيبها !

ها هو ينطق !

ها هى أول كلمات له ، تجرى فوق لسانه منذ سنوات طوال !

ها هو يقول لها فى تبسم جميل ، وهو مستغرق فى تأمله لذلك المجهول الذى يداعب بصره عند الأفق :

ـ أنا لا أفكر .. أنا أستمتع .

ابتسمت مندهشة :

ـ تستمتع ؟! تستمتع بماذا ؟!

ـ بشقاوة حبيبتى .

ازدادت دهشة :

ـ حبيبتك من ؟!

ـ آلاء .. ألا ترينها ؟

هوى قلب الفتاة فى قدميها من الذعر .. بينما أردف هو :

ـ انظرى كيف تقفز هنا وهناك كالعصفور السعيد .. انظرى كيف تضحك .. كيف يتورد خداها من الضحك .

واشتد فزع الفتاة .. وراحت تحدق فيه مرتاعة .. هل يقف حبيبها على مشارف الجنون ؟ ولكنها سرعان ما انتبهت ، طاردة هذا الخاطر اللعين من نفسها ..

وأسرعت تستعيد ابتسامتها قائلة له :

ـ إذن فأنت تراها سعيدة بجنتها يا حبيبى .

أجابها بتبسمه الجميل :

ـ تكاد تطير من السعادة .

أدارته نحوها متبسمة :

ـ فلماذا إذن لا نسعد بجنتنا مثلها ؟

تطلع إليها متسائلاً ، فأردفت قائلة فى حنو :

ـ هذا سيزيدها سعادة يا حبيبى .

هتف ملهوفًا :

ـ حقًا ؟!

ـ نعم يا حبيبى .. نعم .

وإذا بالارتياع يطفو على وجه الفتاة مرة أخرى .. وإذا بعينيها تصرخان فى حبيبها : « حبيبى لاتفزعنى عليك » .. وإذا بالصرخة المؤلمة تبلغ حبيبها .. فينطفئ وجهـه ، وتختنق عيناه بكل أحزان البشر ، وهو ينظر إليها قائلاً :

ـ أنا لا أهذى يا « أحلام » !

ـ هـا ...

وكتمت الفتاة صيحتها .. ها هو ينطق باسمها لأول مرة منذ مايزيد على عشر سنوات .. وكـادت تصعقها الفرحـة ، لولا أنها سارعت بكبحها ، حتى تطمئن على حبيبها أولاً .. أسرعت تسأله فى لهفة :

ـ ما الأمر إذن يا حبيبى ؟

اختنق صوته بعذابه :

ـ أنا حقًا أراها وأسمعها .

واستدار مطلقًا بصره مرة أخرى إلى الأفق ، وأردف قائلاً :

ـ أراها فى صحوى وفى منامى .. وأينما التفت أو ذهبت .. وأسمعها تنادينى ، وتداعبنى ، وتغنى لى .. إنها لاتفارقنى لحظـة .

وانسـابت دمـوع « أحـلام » .. وراحـت تعانقـه بعينيهـا قائلة :

ـ هكذا أحباؤنا يا حبيبـى حين يرحلون عنـا .. يفارقوننـا بأجسـادهم فقـط ، ويظلـون معنـا بـأرواحهم وبذكراهـم ، لأنهم يحبوننا .

عض شفتيه فى حسرة وكمد :

ـ ولكن « آلاء » لا تحبنى .

هتفت مشفقة عليه :

ـ لماذا تقول ذلك ؟

دب الذهول فى صوته ، وفى أعصابه :

ـ ألا تعلمين لماذا ؟!

هتفت فيه مرتاعة :

ـ حبيبى !

انطلق صراخه :

ـ لأننى قتلتها .. قتلتها .. قتلتها .

صرخت الفتاة فى فزع :

ـ لا .. لا .. أمها هى التى قتلتها .. أمها الملعونة .

ولم يدر العملاق المذبوح بنفسه ، وهو يقبض على كتفى الفتاة بقبضتيه الفولاذيتين ، صارخًا فيها :

ـ بل أنا .. أنا .

وإذا به يتهاوى على ركبتيه ، منفجرًا فى البكـاء ، وهو يردد :

ـ أنـا الذى دهستها بعجلات سيارتى حتى خرجت أحشاؤها أمام عينى .. أنا الذى مزقتها .. أنا الذى ...

ودوت صرخة « أحلام » ، وهى تركع أمامه :

ـ كفى .. كفى .. حرام عليك .

وأردفت متوسلة إليه بالدموع :

ـ ارحم نفسك وارحمنى يا حبيبى .

أجابها ودموعه تجرى على وجهه :

ـ مثلى لا يستحق الرحمة .. مثلى يستحق الحرق ألف مرة فى اليوم .

وتمزق قلب الفتاة لأجله .. مدت يديها تحتضن وجهه بهما .. وراحت تعانقه بعينيها الدامعتين قائلة :

ـ لا يا حبيبـى .. لا .. أنت لا تستحق سوى الحب والعوض عن عذابك هذا .. أنت ضحية .. ضحية مثل « آلاء » تمامًا .. ضحية أبيك الذى أرغمنى على التخلى عنـك .. وضحيتى أنا ؛ لأننى خذلتك ، وضحية غضبك منى الذى دفعك للزواج من شيطانة .. وضحية هذه الشيطانة اللعينة ، التى منحتها اسمك ، فإذا بها تمرغه فى الوحل ..

وأردفت الفتـاة ، وقد سكن حبيبهـا المذبـوح بين يديها :

ـ نعم يا حبيبى .. أنت ضحية .. ضحيـة لاتستحق كل هذا العذاب .. بل تستحق الحب والمواسـاة .. اسأل نفسك سؤالًا واحدًا : هل كنت تقصد ما حدث لـ « آلاء » ؟ وإذا كانت « آلاء » قد قُتلت ، فـالتى قتلتها هى الشيطانة أمهـا !

أمها التى كنت مندفعًا بسيارتك لضبطها بخيانتها .. أنت لحظتها كنت منبوحًا بسكين الخيانة ، وما أبشعها من سكين ..

أنت لست قاتلاً يا حبيبى ..

أنت ضحية ..

ضحية ذبحتها مأساة لا يحتملها بشر ..

ضحية تستحق العوض لا العقاب ..

العوض من القدر ..

وها هو القدر يفعلها ، ويعيدنى إليك ..

وإذا بالفتاة تبتسم ابتسامة جميلة من وراء دموعها ، وهى تستطرد :

ـ أتعلم لماذا ؟ لماذا أعادنى القدر إليك ؟ لأنه رآنى خير عوض لك ، وأجمل عوض يمكن تعويضك به عما لاقيت ..

نعم يا حبيبى ..

لقد اختارنى القدر عوضًا لك ..

وهأنا بين يديك ..

وتحت قدميك ..

ورهن إشارتك ..

وما عليك يا حبيب القلب إلا أن تقفز فورًا من بحر أحزانك هذا .. وتنفض عن نفسك جحيم عذابك هذا .. وتفتح ذراعيك وقلبك لهدية قدرك ..

هيا يا حبيبى ..

هيا ارفع وجهك إلى السماء ..

إلى من ردَّك إلى نفسك ، وردَّنى إليك ..

إلى الله ..

وإذا بالفتاة ترفع وجه حبيبها بيدها نحو السماء ، مستطردة بابتسامة رائعة :

ـ هيا يا حبيبى .. هيا انظر .. إنه الله ..

الله الذى ينتظر منك كلمة واحدة ، يزيل بها كل عذابك .. فهيا قلها ..

هيا يا حبيبى ..

هيا أطلقها من قلبك ..

هيا ..

وراحت الفتاة تستحثه بعينيها الملهوفتين ، وتشجعه بابتسامتها العذبة الرائعة .. وإذا بوجه الفتى يشرق بنور عجيب .. وإذا بقلبه ينشرح .. وإذا بشفتيه تنفرجان ليخرج من بينهما مفتاح النجاة ، الذى أودعه الله قلب الإنسان :

ـ يارب !!

* * *

الفصل الثامن

عادت « نهال » بعد غيبة عن صديقتها طالت لأكثر من ثلاثة أشهر .. ولم يكن بالأمر الهين عليها أن تصدّق عينيها ، وهى تجلس إلى مائدة العشاء قبالة « كيمو » فى (أوبرج الفيوم) .. لم يفارقها ذهولها للحظة منذ أن وقعت عيناها عليه فى القصر فور وصولها ظهرًا .. صحيح أنها كانت على علم بأخباره طوال فترة علاجه ، من خلال مهاتفاتهما المتبادلة هى وصديقتها ، إلا أن المستحيل نفسه كان أقرب لخيالها مما تراه عيناها الآن .. فها هو البهاء كله مجسمًا فى هيئة رجل من طراز خاص .. رجل اجتمعت فيه الوسامة والقوة ، وطغت عليه ثقته بنفسه ، وفى الوقت ذاته بدا كالنسمة ببشاشته ورقيه وتواضعه الجميل .. وغُلف كل ذلك بأناقة ساحرة زادته بهاءً فوق بهائه ..

وراحت عينا الفتاة الشقراء تلتهمه ، وهى تسائل نفسها مذهولة :

ـ معقول ؟! أهذه هى كتلة الطين التى التقطناهـا مـن الطريق ؟!

ومـا كـادت تتم تساؤلها حتــى أفـاقت علـى صـوت « أحـلام » :

ـ « نهال » ! لقد فرغنا من عشائنا ، ولم تقربى طعامك .

وانتبهت « نهال » .. التفتت إلى صديقتها الجالسـة إلى جوار حبيبها ، تجيبها بابتسامة متوترة :

ـ أنا آسفة !

وتدخل « كيمو » باسمًا :

ـ لا تعتذرى .. كلى !

حلقت الشقراء على وجهه بنظرة الرغبـة التى لا يجرؤ لسانها على البوح ، ثم أجابته :

ـ لست جائعة .

وإذا « بأحلام » تسألها بابتسامة ماكرة :

ـ لست جائعة ؟ أم مضربة عن الطعام ؟

وأردفت الفتاة بشقاوة :

ـ كلى ، ولك منى نزهة مع « كيمو » .

وكان رد « نهال » :

ـ « مرسيه » .. احتفظى بهديتك لنفسك .

وابتسم « كيمو » قائلاً :

ـ هذا رفض صريح لصحبتى ..

رمقتـه « نهال » بنظراتها التــى تفضـح أكـثر ممـا تستر .. بينما أسرعت « أحلام » تخـرج موبايلها قائلة لهـا :

ـ إما أن تأكلى معنا ، أو أخبر « محمود » فورًا بمكاننا ..

فوجئت « نهال » ، بينما تساءل « كيمو » :

ـ من « محمود » هذا ؟

وأجابته حبيبته ، وعيناها على صديقتها فى انتظـار جوابها :

ـ طليقها الذى لا تطيقه ، ويطاردها مثل عفريتها .

ولم تملك « نهال » سوى إجابتها قائلة :

ـ لا .. الأكل أرحم .

★ ★ ★

تسمرت عينا الكابتن « حسن رمزى » على وجه « أحلام » من ثقل المفاجأة ، وغمغم يسألها ساخرًا :

ـ ماذا تقولين ؟!

وأجابته الفتاة ببشاشتها العذبة :

ـ إنه الآن فى انتظارك يا كابتن .

تضاعفت دهشة المدرب العجوز :

ـ من هو ؟

ـ « كمال المشرفى » .

ـ « كمال المشرفى » من ؟

ـ لاعبك الذى بنيته يا كابتن « حسن » .

ولم يدر الرجل بماذا يجيبها .. وإذا به يتأملها مرتابًا فى أمرها .. وإذا بسخريته تطفح على وجهه ، وإذا به يسألها متهكمًا :

ـ وأين هو « كمال المشرفى » الآن ؟

وأجابته ببشاشتها :

ـ موجود .

ولم تهتز سخرية الرجل :

ـ أين ؟

ولم يختل ثبات الفتاة :

ـ عندى .

تذرع الرجل بالصبر ، وراح يتفرسها بنظراته فى حيرة طاغية ، فإذا بها تمد له يدها بمظروف صغير قائلة :

ـ وهذا خطاب شخصى منه لحضرتك .

تناول الرجل المظروف منها ، دون أن يزحزح ناظريه عن وجهها ، ثم أخرج الخطاب ، وراح يجرى على سطوره بعينيه المذهولتين :

« مدربى العظيم ..

أعلم أن الأمر سيكون مفاجأة كبيرة لك .. وتصديقه لن يكون هينًا عليك .. ولكنها الحقيقة يا مدربى العظيم .. إننى موجود ! وأتوق إلى رؤياك .. وسوف أكون فى غاية السعادة بتلبيتك لدعوتى ..

« كمال المشرفى »

!!!!!!!!!!!!!!!!!!

دهشة عاصفة أطبقت على الرجل ، وهو يرفع عينيه عن الخطاب ، ليرسل نظراته الذاهلة أمامه فى فراغ النادى ، متسائلاً فى نفسه :

ـ معقول ؟!!

وحينما اقترب من الاقتناع ، إذا بنافورة من مشاعر شتى متضاربة تنبثق بداخله .. شىء من الرهبة ، مع شىء من

الذهول ، مع طوفان جارف من الفرحة .. وفاضت محصلة كل ذلك على وجهه .. وتصفحته الفتاة ، فإذا بها تبتسم قائلة فى تبجيل :

ـ لاعبك العظيم فى انتظارك يا كابتن « حسن » .

التفت إليها الرجل بطوفان مشاعره ، وراح يتأملها فى حيرة لبرهة ، ثم إذا به يسألها فى توجس :

ـ هل يمكنك أن تأخذينى إليه ؟

★ ★ ★

وانطلقت به الفتاة .. وما هى إلا الساعة الفاصلة بين (القاهرة) و(الفيوم) ، حتى كان المدرب العجوز يقف أمام لاعبه العظيم فى حديقة القصر ، يحدق فيه من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ، غير مصدق عينيه :

ـ إذن فالأمر حق !!

هكذا هتف المدرب العجوز فى نفسه ، بينما البطل يتأمله باسمًا ، مشفقًا عليه من وطأة مشاعره ، ثم إذا به يداعبه قائلاً :

ـ كفاك دهشة يا رجل يا عجوز .

قالها ، وما إن أتمَّها ، حتى انطلقت من العجوز صرخة هائلة :

ـ كيـ يـ يـ يـ يـ مووو .

ومع صرخته كان قد قفز فى حضن لاعبه العملاق ، الذى حمله ، وراح يدور به فى الهواء ، وهو يطلق ضحكة طويلة عفية عجيبة مثل بنيانه ..

وفى صالون الاستقبال الرئيسى بالقصر ، وبعد أن فرغوا من تناول غذائهم .. جلس البطل إلى مدربه ، يفصح له عما فى نفسه :

ـ كابتن « حسن » ! أريد أن أمثل مصر فى بطولة العالم القادمة !

بنفس نظرته الساكنة فى ظاهرها ، ولكنها تخفى انفجارًا هائلاً فى الأعماق ، تسمَّرت عينا المدرب العجوز على وجه لاعبه ، ولم يحر جوابًا ، مما دفع البطل إلى الابتسام متسائلاً :

ـ ماذا يا رجل ؟ ما الذى أسكتك هكذا ؟

وأجابه العجوز المحنك فى تحفظ خبير :

ـ المفاجأة !

قالها وعاد إلى صمته ، ولكن صمته هذا لم يخف ذلك الحرج الذى راح يتسرب إلى ملامحه ، والذى ما كان ليخفى على فطنة البطل ، فأسرع يزيله عن مدربه الحبيب بقوله :

ـ لسنا نحن الذين يدخل بيننا الحرج يا مدربى العظيم .

وأطرق قليلاً إلى الأرض ، ثم رفع وجهه مرة أخرى نحو مدربه مستطردًا :

ـ إننى أعلم جيدًا كل ما يمنعك الحرج من الإفصاح به .. وأوله : عامل السن .. فقد جاوزت الأربعين من عمرى .. وهذا كثير جدًا لأى لاعب رياضى ، وخاصة المصارع .. ثانيًا : انقطاعى عن التدريب والحلبة لما يزيد على عشر سنوات .. وهذا يعنى للمصارع القضاء على لياقته تمامًا ، بل واستحالة استعادته لمستواه .. ثالثًا :

وإذا بـه يطـرق إلـى الأرض مـرة أخـرى ، وقـد اجتاحته مرارة طاغية ، جعلته يواصل حديثه بصعوبة :

ـ ظروفى المؤسفة التى مررت بها ، والتى قضت على صورتى تمامًا كبطل وكإنسان فى نظر جمهورى ، وفى نظر المجتمع كله ..

ورفـع وجهـه مـرة أخـرى نحـو مدربـه ، مستطردًا بمرارته :

ـ أعلم كل ذلك .. وأعلم أن محصلته النهائية تجعل من مجرد رغبتى فى العودة إلى الحلبة ضربًا من الجنون .. فما بالى بالتصدى لبطولة العالم .. إنه شىء أكثر كثيرًا من الجنون ذاته .

ولم يملك المدرب العجوز إلا أن يسأله مندهشًا :

ـ ومع ذلك تتحدث فيه ؟!

وإذا بالبطل ينهض ، فاردًا قامته المهيبة ، ثم يقول بلهجة أقطع من حد السيف :

ـ بل هو قرار ، وليس مجرد حديث يا مدربى العظيم .

ونهض المدرب العجوز بدوره ، وهو يحدق فى البطل ، مرددًا فى دهشة :

ـ قرار ؟!

ـ نعم يا كابتن « حسن » .

ولم تهدأ دهشة المدرب :

ـ وماذا بعد القرار يا رجل ؟

ـ التنفيذ .

كاد المدرب العجوز يصرخ ذهولاً :

ـ كيف ؟! كيف ؟!

وكان رد البطل بمنتهى الهدوء :

ـ بإرادة الإنسان .

وإذا به يردف متسائلاً :

ـ هل هناك مستحيل أمام إرادة الإنسان ؟

وإذا بجواب المدرب العجوز :

ـ نعم هناك مستحيل .. هذا الذى تريده يا رجل .

فإذا بالبطل يغرس نظراته الفولاذية فى الجدار المواجه له قائلاً فى عزم شرس :

ـ إذن فلأحطم هذا المستحيل يا كابتن .

وانطلقت صرخة المدرب رغمًا عنه :

ـ أنت مجنون .. مجنون .

صُدم البطل .. صُدِم بقسوة مدربه الحبيب عليه .. وراح يتطلع إليه حزينًا متسائلاً فى مرارة :

ـ أأكون مجنونًا حينما أسعى لاسترداد كيانى ؟!

وأطرق المدرب العجوز غارقًا فى حرجه ، ولكنه ما لبث أن رفع وجهه نحو لاعبه مرة أخرى ، قائلاً فى ألم :

ـ إنها مصارعة يا « كمال » .. مصارعة وليست كرة قدم أو سلة .. رياضة الموت يا رجل .. وسعيك للعودة

إليها بظروفك هذه ، ليس له سوى معنى واحد .. هو أنك تسعى وراء حتفك .

واستدار الرجل عائدًا إلى مقعده حيث جلس ماطًّا شفتيه إلى الأمام كعادته حين يجد نفسه فى مأزق عسير .. ولأن لاعبه يفهمه جيدًا بحكم عشرة السنين الطويلة التى تربطهما ، فقد استدار هو الآخر جالسًا إلى جواره ، ثم راح يربت على فخذه فى حنو قائلاً :

ـ هوّن عليك يا مدربى العظيم .

وكان رد الرجل فى شرود ، وكأنه يحدث نفسه :

ـ بعد أن جئت إلى هنا ، وتأكدت من وجودك فعلاً ، كان كل تفكيرى محصورًا فى مطالبة الاتحاد بتكريمك كبطل عالمى معتزل .

وإذا برد البطل على الفور :

ـ وهل ترضاها لى يا مدربى العظيم ؟

وأطرق صامتًا وقد تبدّت على وجهه كل أعراض الاختناق والحزن ، ثم ما لبث أن رفع وجهه ، مرسلاً بنظراته أمامه ، قائلاً فى مرارة :

ـ لقد كان آخر عهدى بجمهورى ، وبـالمجتمع كلـه مهرجان من الفضائح المخجلة .. فضائح جعلت الجميع ينهالون علىَّ بسكاكينهم .. القريب قبـل البعيد .. أصدقائى قبل خصومى .. حتى الصحافة التى طالما عاملتنى كملك متوج .. لم تحترم تاريخى .. ولم تترفق بى وأنا مذبوحٌ بمأساتى .. بل راحت تمزقنى شر ممزق ، وتهيل علىَّ كل الرزايا حتى جعلت منى عارًا فى هيئة إنسان ..

وطفحت كل مرارة البطل على وجهه ، وهو يستطرد قائلاً :

ـ نعم يا كابتن « حسن » .. لقد كان آخر فصل فى مأساتى هو فصل العار .. فهل يُعقل أن يكون الفصل التالى له مباشرة هو تكريمى ؟ لا يا مدربى العظيم .. لن يكون هذا تكريمًا .. بل سيكون أشبه بركعة صلاة شكر فى ماخور .. وسأكون أنا كالشيخ المعمم فى الماخور .. فهل تقبلها علىَّ يا مدربى العظيم ؟ يا من بنيتنى ، وجعلتنى رايـة خفاقـة لهذا البلد فى شتى بقاع الأرض ؟

وسكت البطل .. وإذا ببريق الدموعِ يلمع فى عينيه ، مما جعل المدرب العجوز ينتفض ذهولاً .. فهو الذى يعلم

جيدًا أن لاعبه العملاق جبلٌ من صخور ، لاتهـزه عاصفة مهما تجبرت .. ووجد نفسه يهتف فى لاعبه قلقًا :

ـ « كمـال » ؟

وأجابه لاعبه فى عتاب حزين :

ـ كان أولى بك يا مدربى العظيم أن تنقلنـى أولاً من الماخور إلى المسجد ، ثم تفكر فى تكريمى .

وأُسقط فى يد المدرب العجوز .. مات أى منطق أمام منطق لاعبـه .. أطرق صامتًا حائرًا عـاجزًا عـن أى رد .. وطالَ إطراقه .. ولكنه فى النهاية رفع عينيه إلـى لاعبه قائلاً بكل إخلاص :

ـ أنت تعلم جيدًا يا رجل قدرك عندى ، وتعلم أنـه لـو اقتضى إنصافك عمرى كله لأنصفتك بـه ، ولكن الأمـر ليس بيدى .

وإذا بعزيمة البطل تدب فيـه أشد ممـا كـانت ، وهـو يسأله :

ـ تقصد الاتحاد .. أليس كذلك ؟

وأجابه المدرب العجوز :

ـ نعم .. الأمر فى أيدى مجلس الاتحاد ، ويقتضى موافقة ثلثى أعضائه على الأقل .

ـ ألست أنت واحدًا من هذين الثلثين ؟

ـ نعم .

ـ هل تمنحنى صوتك .

ـ وكان رد المدرب العجوز بلا تردد :

ـ لقد منحتك إياه بالفعل ، منذ أن عاتبتنى على عدم نقلك من الماخور إلى المسجد قبل تكريمك .

وإذا بالبطل ينهض قائلاً فى تفاؤل وثقة :

ـ إذن فقد بدأت فى كسبهم .

★ ★ ★

الفصل التاسع

ودارت المعركة ..

معركة لم يشهد الاتحاد المصرى للمصارعة لها مثيلاً فى ضراوتها على امتداد تاريخه ..

انشق مجلس الاتحاد إلى جبهتين متناحرتين .. جبهة مؤيدة للبطل ، لايزيد عدد أعضائها عن اثنين : الكابتن « حسن رمزى » ، ومعه عضو واحد آخر من المجلس .. بينما الجبهة المقابلة تضم بقية أعضاء المجلس .. والذين رأوا فى طلب « كمال المشرفى » بتمثيل مصر فى بطولة العالم نكتة الموسم .. والذى عبر عنها زعيمهم بقوله للمجلس المجتمع لمناقشة الطلب :

ـ ألا ترون معى أيها الزملاء الأجلاء أنها نكتة تثير الضحك ؟! رجل فى الثانية والأربعين من عمره ، منقطع عن التدريب واللعب منذ ما يزيد على عشر سنوات .. وآخر عهد له بوسائل الإعلام كان برامج وصفحات الحوادث .. رجل بهذه الظروف نمنحه الأولوية على أبطال شباب ، يصغرونه بخمسة عشر عامًا على الأقل ..

وعرق التدريبات والبطولات لا يزال يغمر أبدانهم .. وسيرتهم تزين كافة وسائل الإعلام .. أليست هذه نكتة أيها الزملاء ؟!

وهل سبق لكم أن سمعتم بأفكه منها نكتة ؟!

وراح العضو يدور على زملائه بنظراته الساخرة ، منتظرًا منهم ردًّا .. فإذا برءوسهم جميعًا مطرقة إلى طاولة الاجتماع فى عجز عن أى رد .. إلا واحد ! واحد فقط ! الكابتن « حسن رمزى » ، الذى راح ينظر إلى زعيم جبهة الرفض المفوّه فى تعجب أقرب إلى القرف ، ثم انبرى يسأله فى سخرية لاذعة :

ـ هل صار « كمال المشرفى » نكتة الآن يا كابتن « رضا » ؟!

وكان رد الكابتن « رضا » فى سماجة :

ـ أنت والكابتن « عرابى » اللذان جعلتما منه نكتة يا كابتن « حسن » .

وتحولت سخرية الكابتن « حسن » إلى دهشة :

ـ أو تُعيدها يا رجل ؟!

ثم إذا بسحنته تنقلب تمامًا ، فإذا به أسد هصور غاضب مزمجر ، وإذا بالكلمات تنطلق من فمه كقذائف نارية ، وهو يدور بعينيه الصارمتين على وجوه الجميع متسائلاً :

ـ هل سمعتم أيها الزملاء الأفاضل ؟! هل سمعتم الكابتن « رضا » وهو يصف « كمال المشرفى » بأنه نكتة ؟! وإذا كنتم قد سمعتم ، فهل هذا هو ردكم على وصفه ؟ الصمت وتنكيس الرءوس ؟!

وإذا بشلال من السخرية والقرف ينفجر فى نبرة الرجل ، وهو يستطرد قائلاً :

ـ لا أدرى ماذا أقول لكم يا أفاضل .. لقد جعلتمونى أشعر لأول مرة منذ أن انتميت إلى مجلسكم الموقر هذا بأننى انتميت إلى ما لا يليق بى !

صفعة ، وهوت على وجوه الجميع ، وجعلت أحدهم يهتف فى ذهول :

ـ ما هذا الذى تقوله يا كابتن « حسن » ؟!

وكان رد الكابتن « حسن » بتهكمه اللاذع :

ـ ماذا يا كابتن « علوانى » ؟ هل جرحت كبرياء المجلس الموقر ؟

وتدخل عضو آخر من فريق الغاضبين :

ـ ما هكـذا يكون الحوار أبدًا يا كـابتن « حسن » ! وما تعودنا هذا منك !

وكان رد الكابتن « حسن » فى مرارة :

ـ لأنكم لم تكونوا أبدًا بهذا الجحود من قبل .

وكادت ثورة الأعضاء تنفجر فيـه ، لولا أنـه أسرع بقطع الطريق عليهم باستطراده قائلاً :

ـ يا حضرات ..

يا حضرات .. هذا الذى تصفونه بالنكتة الآن ..

هذا الذى تهيلون عليه التراب ، وكأنه جيفة عطنة ..

هذا الذى تستنكفون منه .. وتتبـارون فى غسل أيديكم منه ..

هذا يكون « كمال المشرفى » !!

هل نسيتم من يكون « كمال المشرفى » ؟!

« كمال المشرفى » بطل مصر والعالم حتـى آخـر مباراة خاضها ..

« كمال المشرفى » صـاحب تسع بطولات عالميـة .. وثلاث وعشرين بطولـة عربيـة وأفريقيـة ومحليـة .. والميداليات التى تُوزن بالكيلوجرام .. والأوسمة التى لم يتقلدها رياضى فى مصر من قبل .

« كمال المشرفى » يـا حضرات الذى أنقذ الرياضـة المصرية من فضيحة عالمية بجلاجل ، حينما فاز ببطولـة العالم فى (أثينا) ، بينما فازت بقية البعثة بصفر كبير فى بقية اللعبات .

وكاد صوت الرجل ينقطع من غمرة مرارته ، وإجهاد انفعاله ، ولكنه سارع بالتماسك مستطردًا :

ـ « كمال المشرفى » يا حضرات الذى تصفونـه الآن بأنـه نكتـة ، هو الـذى صنـع للمصارعـة فى (مصـر) نجوميتها .. وأعتقد أن حضراتكم لم تنسوا ، ولا يمكنكم

أن تنسوا أنــه كــان أول مصــارع عربــى تُنصــب لــه بوسترات بـالحجم الطبيعى فـى كـل عاصمـة شـهدت بطولاته ..

وأخـيرًا يـا حضـرات الزمـلاء الأفـاضل .. « كمـال المشرفى » هذا هـو الـذى جعل لمجلسكم هذا قيمـة .. بانتصاراتـه ، وبجهـده ، وبعرقــه .. أى إنــه بصريـح العبــارة دائن لكم بمـا أنتم فيـه الآن .. فهل هذا هـو ردكم لدينه عندما أحوجته الظروف لكم ؟!

ولم ينتظر الرجل جوابًا منهم ، بـل قذفهم هو بـالجواب معجونًا بالمرارة :

ـ إنها لزلة كبيرة منكم يا حضرات .. زلـة لاتليق بكم ، ولا بتـاريخكم .. زلـة تـأخذكم إلـى أسـفل .. إلـى مستنقع الجحود والنكران .. فهل تدركون أنفسكم قبل أن تهوى بكم ؟!

* * *

وغـادر الكـابتن « حسن رمزى » قاعـة الاجتمــاع ، عائدًا إلى منزله بمرارته التى لاتُحتمل .. وفى الطريق راح يضع الصورة كاملة أمام لاعبـه ، عبر « الموبايل » .. وكان رد البطل عليــه فى امتنــان ، بأنه أدى ما عليه ، وسيتولى هو الباقى ..

ولم تمض أربع وعشـرون سـاعة ، حتـى فوجئ كل عضـو مـن أعضـاء جبهـة الرفـض العشـرة « بـأحلام » تزوره منفـردًا ، واضعـة فـى يده شيكًا مصرفيًا بمبلغ خمسين ألفًا من الجنيهات ، لتنتهى المعركـة بالإجمـاع التام على ترشيح « كمال المشرفى » لتمثيل مصـر فـى بطولة العالم للمصارعة فى « برشلونة » !

* * *

وانفجر الخبر فى وسائل الإعلام ..

انفجر كبركان عات من الدهشة والفرحـة والـترحيب بعودة البطل .. البطل الـذى طالمـا رفـع اسم « مصـر » ورايتها فوق هامته العملاقة ، وعزيمته الأسطورية ..

ما من صحيفة كبـيرة أو صغيرة ، إلا وراحت تزين صدر صفحاتها بمانشيتات الترحيب بعودة المصـارع الأسطورة ..

وما من برنامج تليفزيونى أو إذاعى ، إلا وسعى جاهدًا لاستضافته ، كى يسعد جمهوره بإطلالته وبحديثه ..

وكان عجيبًا .. أن أيًا من هذه الصحف والـبرامج لـم تحـاول الإشارة من قريب أو بعيد إلى مأسـاة البطـل ، أو نكء جراحه ..

وكان السر كله عند « أحلام » .. لقـد نجحت النجمـة الفاتنة المذهلة بفضل حظوتها لدى رءوس الإعلام فى أن تجعل منهم سندًا حميمًـا للبطل .. وأن تملأ قلوبهم حبًا له ، وتعاطفًا معه ، بل وإجلالاً لـه كبطل قومـى لـه مكانته ..

وهكذا راحت الفتاة الرائعة تُعبّد الطريق أمام حبيبهـا بعبقرية وإرادة تفوق جيشًا من الرجـال .. مضت تفعل ذلك ، وهى لاتـدرى أنهـا بصنيعهـا تشيّد لهـا فـى قلب حبيبها عرشًا لم يُبن فى قلب رجل لامرأة قط ..

وعادت قصة الحب التى ولدت على كفوف البشرية قبل عشر سنوات تسطع فى سماء الدنيا من جديد .. عـادت أكثر توهجًا بنجومية الحبيبة الفاتنة ، التى أضفت علـى البطل بريقًا فوق بريقه ، فاعتلى عرشه الأسطورى فـى القلوب ..

وهـا هـى « أحلام » بفتنتهـا المتوحشـة .. بملامحهـا المرسـومة الشـهية .. بعينيهـا العسـليتين الواسـعتين الجرينتين .. بشفتيها القرمزيتين المشتعلتين بـاللهب والرحيق .. بوهج أنوثتها ونجوميتها .. ها هى ملتصقة بحبيبهـا ، لا تفارقـه للحظـة .. تتـأبط ذراعـه فـى غـدوه ورواحه ، أمام عيون الكاميرات التى تلاحقهما .. وكأنها تعلـن على الدنيا بأسرها أن هذا الرجل الأسطورة هو حبيبها ..

حبيبها هى وحدهـا ..

وملكهـا هـى وحدها ..

وأمانتها هى وحدها .. ولن تفرط فيها مرة أخرى أبدًا .. ولو كلفها الأمر حياتها !!

وها هو البطل يبدو بجوارها بأناقتـه المذهلـة .. بقوامـه الأسطورى .. بوجهه الوسيم البشوش .. بعينيه الشـجيتين الدافئتين .. بابتسامته المشرقة التى تخلب الألباب .. ها هو يبدو وكأنه أسطورة من زمن الأساطير ..

وها هما الاثنان معًا يبدوان كحلم خرافى مغزول من النور والجمال ..

وها هى « نهال » تنفرد بصديقتها ، وقد طفحت على وجهها أعراض ، تعرف « أحـلام » مغزاهـا جيدًا .. إن هناك ماينهشها فى داخلها ، ولن يريحها منه إلا البوح بـه .. وكان على « أحلام » أن تريحها ، فبادرتها متسائلة :

ـ ماذا بك يا صديقتى ؟

وأجابتها « نهال » على الفور ، وكأنهـا كـانت تنتظر السؤال :

ـ إذن فأنت تعلمين أن بى شيئًا .

وكان رد « أحلام » بابتسامتها الذكية :

ـ ما فائدة صداقتنا إذن يا فتاة إن لم نفهم بعضنا ؟

وصمتت معطية الفرصة لصديقتها كى تفرغ ما بهـا ، بينما راحت صديقتها تتأملها فى تردد للحظة طويلة قبل أن تستطيع سؤالها :

ـ هل أنت مقتنعة بهذا الذى تفعلينه يا « أحلام » !

ـ ماذا تعنين يا صديقتى ؟

ـ أعنى الذى تفعلينه مع « كمال » منذ أن التقيناه على الطريق .

ها هى الصديقة تكشف عن علتها .. وها هى « أحلام » تنتبه لها ، فتسألها فى تنمر :

ـ وما هو الذى أفعله مع « كمال » يا « نهال » ؟

ـ كثير يا « أحلام » .. كثير إلى حد السفه .

حجر سقط على رأس « أحلام » ، جعلها تردد مذهولة :

ـ السفه ؟!

وبدلاً من أن تتراجع « نهال » مستدركة الأمر ، راحت تندفع كالدبة الحمقاء :

ـ نعم يا « أحلام » .. لا يمكن أن يكون هناك وصف لهذا الذى تفعلينه مع « كمال » إلا السفه .

وانطلقت تفرغ ما بها :

ـ فى البداية جئت به إلى هنا ، وتكفلت برعايته وبعلاجه ، فقلت فى نفسى إن هذا واجب حتمته عليكِ الظروف .

ثم جاء موضوع تضحيتك بأكبر فيلم فى حياتك .. وكانت صدمة كبيرة لكل الذين يحبونك ، وأنا أولهم .. ولكننى سرعان مارحت أحاول إقناع نفسى بأن هذا أيضًا يدخل ضمن واجبك نحو «كمال» ، والذى لن ينتهى إلا بشفائه .

وشُفى الرجل ..

ووقف على قدميه ..

وصار من المنتظر أن تتبدل المواقع ، فتفيقى أنت لنفسك ، وتنتبهى لمستقبلك .. بينما يساعدك هو فى ذلك ، رادًا لك بعضًا من صنيعك .. ولكننا بدلاً من ذلك ها نحن نُفاجأ باستمرار كل منكما فى موقعه .. هو فى موقع من استمرأ الأخذ .. وأنت فى موقع من استمرأ العطاء ..

بل يبلغ بك الحد تبديد مئات الآلاف من الجنيهات عليه .. بل ووضع نفسك موضع السكرتيرة له ، ناسية تمامًا مكانتك ، وداهسة عملك ومستقبلك .. كل ذلك مقابل ماذا ؟ لا أحد يعلم .

وسكتت «نهال» ، فإذا برد « أحلام » بمنتهى الهدوء ، وكأنها لم تسمع من هذه المحاضرة الطويلة العريضة ، سوى السؤال الذى ختمها :

ـ مقابل الحب يا صديقتى ..

ودهشت « نهال » :

ـ الحب ؟!

وأردفت متسائلة بدهشتها :

ـ أى حب هذا الذى يضيّع صاحبته ؟ الحب الذى نعرفه يقوم على عطاء متبادل بين الطرفين .. وليس عطاءً موصولاً من طرف ، وأخذًا موصولاً من الطرف الآخر .

وللمرة الثانية أجابتها « أحلام » بهدوء :

ـ ومن أدراك بأننى لا آخذ ؟

ـ إذن دلينى إلى شىء واحد أخذته يا صديقتى .

وأجابتها « أحلام » بمنتهى القناعة :

ـ أخذت أعظم قلب فى الدنيا .. والمرأة لا تطمع من الدنيا فى أكثر من قلب عظيم يحبها .. و« كمال » بقلبه العظيم يحبنى ، ويشبعنى حبًا .

وإذا بسخرية الدنيا كلها تطفح فى ابتسامة « نهال » ، وهى تقول :

ـ شىء طبيعى أن يشبعك حبًا يا حبيبتى ، وإلا ماذا تكون فائدة هذا النعيم الذى يغمره وهذه الأموال المنهمرة عليه .

وطارت سدادة البركان ، لتدوّى صرخة « أحلام » وهى تهوى بيدها على وجه الفتاة :

ـ اخرسى !

ومادت الأرض بالفتاة ، وكادت تسقط فى مكانها ، ولكن « أحلام » لم تبال بها ، بل انطلقت تكمل عليها كوحش مفترس تملكه الغضب :

ـ اسمعى يا فتاة ! لقد منحتك أكثر من فرصة لتدارى حقدك هذا .. ولكن يبدو أنه لا جدوى .. ويبدو أيضًا أن فشلك فى دنيا الحب جعلك تنقلبين إلى دنيا الحقد والغل .. هل تعتقدين أننى لا أفهمك ؟ أنا فقط كنت أحاول أن أحافظ على صداقتنا ، وأن أردك من خلالها إلى دنيا الحب .. ولكن صار من الواضح الآن أننى كنت مخطئة فى محاولاتى تلك .. أما وقد بلغنا نهاية المطاف فاسمعيها منى كلمة : « كمال » هذا فى نظرى أعظم رجال العالم .. وفى قلبى أحب إلىّ من نفسى .. وفى ضميرى ألا أفرط فيه أبدًا ، مهما حاصرتنى الأفاعى من أمثالك .

وسكتت الفتاة الثائرة ، ولكن عينيها راحتا تحدقان فى صديقتها المرتاعة بكل قرف الدنيا وسخطها ، حتى إذا ما تيقنت من خرسها تمامًا ، استدارت مغادرة الغرفة ، قاصدة شرفة القصر .. فإذا بحبيبها واقف

بالشرفة .. وإذا به يُفاجأ باختناقها ، فيتلقاها بين يديه ، هاتفًا فى انزعاج :

ـ حبيبتى ، ماذا بك ؟!

ولم تملك حبيبته إلا أن ترفع عينيها المختنقتين ، لتتعلقا بعينيه فى مرارة وألم .. وإذا به يلمح «نهال» خارجة من غرفتها ، فيفهم على الفور ، ويسأل حبيبته :

ـ الأفعى الصفراء ؟!

وإذا بحبيبته تجيبه فى خفوت :

ـ ضمنى فى حضنك يا حبيبى .. ضمنى .

★ ★ ★

الفصل العاشر

وبدأ الطريق الفعلى إلى « برشلونة » ..

دخل الكابتن « حسن رمزى » ومعاونوه بلاعبهم العظيم إلى معسكر التدريب ، ليخوضوا معه أعنف وأشرف برنامج تدريبى شهدته المصارعة الحرة على امتداد تاريخها .

وحتى فى هذا لم تفارق « أحلام » حبيبها لحظة .. فرّغت نفسها له تمامًا .. وصارت ملازمة له كظله .. حتى فى ذروة التدريب ، كانت تظل جالسة فى مقدمة حاشية البطل من الرياضيين والإداريين والصحفيين والأصدقاء ، على بعد خطوات قليلة منه ، تعانقه بعينيها وقلبها .. حتى إذا ما توقف قليلاً ليلتقط أنفاسه .. وجدها بين يديه ، تجفف عرقه .. وتهديه مكافأته التى أدمنها .. قبلة على خده ، وهمسة فى أذنه :

ـ بحبك ..

ليجد البطل نفسه منطلقًا فى عينيها ، فى رحلة خاطفة ، يعود منها على الفور بكامل طاقته التى استنفدها التدريب ،

بل مشحونًا بقوة خرافية فوق قوته .. فإذا به يعود إلى التدريب وحشًا ضاريًا لا سبيل إلى إيقافه ..

وما كان ذلك ليغيب عن عيون الصحافة ، فإذا بها تنصب للحبيبين الأسطوريين كرنفالاً ساحرًا على صدر صفحاتها .. فلا تصدر صحيفة أو مجلة دون صورة لهما معًا ، أو تصريح منهما ، أو خبر عنهما .. حتى صارت حكايتهما أهزوجة حب تصدح فى أرجاء الدنيا ..

إلا فى مكانٍ واحد !!

السفارة المصرية فى « مدريد » ..

اخترقتها الحكاية كنعقة بوم حادة مفزعة ، قاصدة رأس السفارة : السفير « عبد الرحمن المشرفى » !!

لقد بدا الرجل ، وهو يجلس خلف مكتبه الضخم فى السفارة ، محدقًا فى كوم الصحف والمجلات المزدحم بها سطح مكتبه ، والمفتوحة جميعها على صور الحبيبين معًا ، وكأنه تمثالاً رهيبًا من الثلج .. اختفت الدماء من

وجهه ، فصار على وسامته وجهًا ثلجيًا مريعًا ، واشتعلت الصدمة فى عينيه ، فبدوتا وهما متسمرتان على الصور كثقبين مطلين على جهنم .. وأى إنسان كان يعرف هذا الرجل عن قرب ، وشاهده بهذه الحال ، كان سيدرك على الفور ، أنه مضروب الآن بزلزال جبار لا يحتمله بشر .. وكان هذا ما أدركه بالفعل الرجل الجالس أمامه ، والذى تنم هيئته عن منصبه السياسى الرفيع .. فبادره قائلاً فى رثاء :

ـ أنا آسف يا جناب السفير .

وببطء المذبوح رفع السفير عينيه عن الصحف والمجلات إلى وجه ضيفه .. وراح يرمقه هو أيضًا بنفس نظرته الساكنة المشتعلة ، دون أن ينبس ببنت شفة .. مما جعل الزائر الكبير يردف قائلاً :

ـ جناب السفير .. حتى الآن الأمر لا يشكل خطرًا على فرصتك .. فالتشكيل الوزارى المرتقب لن يتم قبل أربعة أشهر على الأقل .. وهو وقت كاف لاحتواء الأمر .. ثم إن سيادتك المرشح الأول لتشكيل الوزارة .. وفرصتك كبيرة .

وكان رد السفير فى شرود ساخط :

ـ لولا « أحلام » لكانت مؤكدة !

ولم يملك الزائر إلا أن يرمقه بنظرة رثاء ، قبل أن يقول له بلهجة تغلب عليها المجاملة :

ـ « أحلام » فنانة كبيرة يا جناب السفير ، وارتباطها بالكابتن « كمال » لا يمثل مشكلة إلى هذا الحد .

وكان رد السفير عليه فى مرارة :

ـ ليس هذا وقت خداع لأنفسنا يا « مصطفى » باشا .. سيادتك قبل أن تكون مساعدًا لرئيس الجمهورية ، كنت مسئولاً أمنيًا كبيرًا .. وهذا يعنى أنك تعلم جيدًا حقيقة « أحلام » قبل أن تعمل بالفن .

ولم يملك الزائر سوى أن يغمغم قائلاً فى أسى :

ـ نعم يا « عبد الرحمن » باشا .. أعلم .

ـ و ٩٩٪ من أراجوزات السياسة فى القاهرة الآن يعلمون ذلك أيضًا ، بل ويتبارون الآن فى استخراج صحيفة سوابقها القذرة لذبحى بها .

أسقط فى يد الزائر الكبير ، فلم يدر بماذا يجيب السفير البائس .. أطرق إلى الأرض فى حرج وأسى .. بينما ظل السفير شاردًا بنظراته الممرورة المختنقة كمدًا .. ثم إذا به يستدير بمقعده فى بطء شديد ، ويرفع عينيه المختنقتين إلى علم « مصر » المرتفع عن يمينه ، ويذهب فى نوبة تأمل له للحظة طويلة ، قبل أن يبدأ فى الإفراج عما بداخله قائلاً :

ـ حينما كنا صغارًا أنا وإخوتى ، كان يحلو لوالدينا أن يسألونا من آنٍ لآخر عما نريد أن نكونه عندما نكبر .. وكان إخوتى يجيبون السؤال ، وكأنه لعبة مسلية يحبونها ، ليس إلا ..

أما أنا فقد كنت أجيب والدىّ فى حسم عجيب ولهفة عاتية : (أريد أن أعمل رئيس وزراء) !

ولاح على وجه السفير طيف ابتسامة وهو يسرح مع الذكرى :

ـ وكان والداى يضحكان كثيرًا لإجابتى .. فأنا بالطبع لم أكن أدرى ماذا يعنى هذا المنصب .. ولكننى كنت

أعلم جيدًا من أين أتتنى هذه الرغبة وتملكتنى بهذا الشكل العجيب ، فقد كان والدى - رحمه الله - وزيرًا للخارجية فى ذلك الحين .. ولكن علاقته برئيس الوزراء كانت تتجاوز علاقة العمل .. كانا صديقين .. لذلك كان رئيس الوزراء يشرفنا بزيارته فى فيلتنا فى مناسبات كثيرة ..

وبرغم أن فيلتنا هذه كانت دومًا مقصدًا للكثيرين من رموز الحكم ، ونجوم المجتمع ، إلا أن زيارات رئيس الوزراء لنا كانت شيئًا مختلفًا تمامًا .. كانت تسبقها طقوس خاصة ، واستعدادات كبيرة لا تُجرى لضيف سواه .. وحينما كان يأتى فى موكبه ، كانت تجرى له مراسم استقبال ملكية .. وبالطبع كان ذلك يثير دهشتى وفضولى كطفل لا يفقه مغزى لهذا كله .. ولكن دهشتى هذه كانت سرعان ما تزول أمام هالة الرجل وهيبته وعظمته وهو يدخل الفيلا ؛ لدرجة أننى كنت أراه دائمًا أكبر حجمًا من كل الرجال المحلِّقين من حوله .. كنت أراه عملاقًا وسيمًا بشوشًا وسط مجموعة أقزام يتوددون إليه ، بينما هو يوزع عليهم ابتساماته وعطفه ..

ورفع السفير عينيه عن العلم المصرى ، مطلقًا بصره بعيدًا مع ذكرياته ، ثم مضى مستطردًا :

- ولا تدرى يا « مصطفى » باشا كم كان ذلك يبهرنى ، ويجعلنى أشتهى مكانته هذه عندما أكبر .. ومع كل زيارة لهذا الرجل المهيب ، كانت هالته تنطبع فى حواسى أكثر وأكثر ، وكانت أمنيتى بأن أصير مثله تنمو فى كيانى أكثر وأكثر .. حتى باتت حلمًا جميلاً لا يفارقنى لحظة فى نوم أو يقظة .

واستطرد الرجل بشىء من الدهشة لترتيب القدر :

- ومضت بى الأيام حتى فرغت من دراستى الثانوية .. فإذا بى أفاجأ بنفسى طالبًا فى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية .. وإذا بى أجد نفسى ملحقًا بالسلك الدبلوماسى .. وإذا بحلم الطفولة الجميل البرىء ينتصب من جديد أمام عينىَّ .. وإذا به يتحول حثيثًا إلى طموح .. طموح بدأ حابيًا حذرًا ، ولكنه مع رحلتى على درب السياسة ، ونجاحى فى التقدم عليه رغم وعورته ومشقته ، راح ينمو ويقف على قدميه ، حتى صار هدفًا واضحًا ، وأملاً عزيزًا .. وصرت على استعداد لبذل الغالى

والنفيس ، وعمل أى شىء فى سبيل بلوغه .. حتى صرت منه قاب قوسين أو أدنى .. فإذا ....

وإذا بالرجل يبتر عبارته فجأة .. وإذا بنظرته الثلجية المشتعلة المخيفة تعود إليه ، وهو يحدق فى علم وطنه .. وإذا بكل براكين السخط والغل تنفجر فى نبرته ، وهو يكمل عبارته المبتورة :

ـ إذا بـ « أحلام » واقفة على رأس الأمل بومة ! تنعق بنعيق البوم فى الخرائب .

وصمت الرجل ، وقد تسمرت عيناه على العلم ، مطلقة حممًا من السخط .. بينما ضيفه يتأمله جزعًا مشفقا عليه .. ووجد نفسه يخرج علبة سيجاره الكوبى الفاخر من جيبه ، ويشعل سيجارًا للسفير ، وآخر له ..

ثم التفت إلى السفير قائلاً :

ـ اسمع يا « عبد الرحمن » باشا ! لقد سبقتنى ، وفتحت لى قلبك ، فصار من واجبى نحوك أن أفتح لك قلبى أنا الآخر ، وأن أكون صادقًا معك .. ومن هنا أستأذن جنابك فى أن ننحى دبلوماسية الحديث جانبًا ، ونتصارح كصديقين لا يخجلان من بعضهما فى شىء .

وكان رد السفير على الفور بلهجته الحزينة :

ـ نحن صديقان فعلاً يا « مصطفى » باشا .

فراح الزائر يأخذ نفسًا طويلاً من سيجاره معطيًا لنفسه فرصة للتدبر قبل الحديث ـ كعادة أهل الدبلوماسية ـ حتى إذا ما فرغ من تدبره ، التفت إلى صديقه قائلاً :

ـ نحن السياسيون يا صديقى قوم غايات لا وسائل .. وجودنا مرهون دائمًا ببلوغ غاياتنا ، دونما اعتبار للوسائل .. ونجاحنا فى بلوغ غاياتنا مرهون دائمًا بإجادتنا لبضعة فنون سياسية .. أهمها على الإطلاق ، فن الإفلات من أى خطر قد يعترض طريقك إلى هدفك ، مهما كانت ضراوة هذا الخطر ..

ونفث الرجل دخان سيجاره ، ثم أردف لصديقه :

ـ وما حكاية « أحلام » مع الكابتن « كمال » سوى خطر عابر ، اعترض طريقك فجأة ، وأنت تكاد تلامس هدفك .. فماذا أنت فاعل أيها السياسى المخضرم ؟

وسكت الزائر الكبير ، بينما ظلت عيناه مثبتتين علـى وجـه صديقـه فــى انتظـار جوابـه .. وبلغت الرسـالة السفير ، فإذا بكل سحب السخط والاختناق تبدأ فـى الجلاء عن وجهه ، ليحل محلها وهـج عزيمتـه ودهائـه المعروف بهما .. وإذا بعينيه تستعيدان نظرتـه الثعلبيـة التى تميزه .. وإذا به يأخذ نفسًا طويـلاً من سيجاره ، وينفث دخانه فى شرود وتروٍ شديد .. ثم يستدير نحو علم « مصر » ، ويسلط عليه نظرتـه الثعلبيـة العجيبـة تلك ، وهو يقول بنبرة شديدة الهدوء ، ولكنها أقطع من حد السيف :

ـ سأسحق هذا الخطر يا صديقى ..

وسأقبض على هدفى ..

أعدك بذلك .

* * *

الفصل الحادى عشر

بدت الباخرة السياحية « نفرتارى » وهى تتهادى فوق النيل ، قبالـة وادى الملوك ، وكأنها قصر خرافىّ من الأضواء الملونة ، يتلألأ فى ليل (الأقصر) الساحر .. كـان النهار قد رحل لتوه ، بلهيب مناخ (الأقصر) الصيفى المعروف ، مفسحًا الطريق لليلة فاتنة مقمرة ، منسمة بنسمات ربيعية مبردة .. وكانت السماء مرصّعة بأسـراب من النجوم المزهرة ، وقد نصع ضيّها ، وكأنها اغتسلت خصيصًا احتفاءً بهذه الليلة الجميلة .. بينما أخذ القمر مكانه بينها ، متباهيًا بكماله وبهائه ، ناثرًا على الـوادى نوره الشاهى فى زهو المفتون بجماله ..

ومن بعيدٍ ظهر معبد « وادى الملوك » ، وقد بدا تحت الأضواء الذهبية المنعكسة على واجهته ، وكأنـه بنيان أسطورى من المرمر الخالص ، وقف يتلقّى تلك الأنغام الرومانسية الساحرة ، القادمة من داخل الباخرة ، تسرى على نسيم الليل ، فى تحية خاصة لأعظم ملوك الأرض المسجيين بداخله ..

ولم يكن مرسلو التحية الملكية الرقيقة سوى ضيوف الاحتفال ببطل مصر والعالم «كمال المشرفى» ، بمناسبة رحيله غدًا إلى «برشلونة» ، لتمثيل «مصر» فى بطولة العالم هناك .. والذين اكتظ بهم سطح الباخرة ، وقد بدوا وكأنهم أجمل ما خلق الله من بنى البشر .. بأناقتهم .. بوسامتهم .. بحيويتهم .. بفرحتهم التى انبثقت فى قلوبهم ، وسطعت فى وجوههم .. بزهوهم بابن بلدهم المنطلق لمصارعة أقوى شباب الأرض ، عازمًا على رفع هامة أمه «مصر» فوق هامات الدنيا بأسرها ..

وها هو البطل الأسطورى يقف بينهم ، بهامته العملاقة .. بأناقته الشبابية الساحرة ، بوجهه الوسيم البشوش ، الذى يقطر طيبة وسماحة .. بابتسامته المشرقة التى تخطف القلوب .. ها هو ينثر عليهم ابتساماته ودعاباته فى سعادة وحنو وطيبة ..

ها هو يعدهم بما تهفو إليه قلوبهم ..

ببطولة العالم ..

راح يرددها عليهم فى تبسم واطمئنان ، وثقة عجيبة مذهلة :

ـ سأعود لكم بها .. سأعود لكم بها .

وها هم يجيبونه على وعده بمنحه ميثاقًا أبديًا بالحب ، موقعًا بكل نبضة فى قلوبهم ..

وها هم يشحنونه بكل ما يكفيه ، ويفيض عن حاجته من الحب .. مدركين كل الإدراك ، أن هذا هو إكسير قوته الأسطورية .. واثقين كل الثقة فى أنه سيفعلها ، ويعود إليهم بالبطولة .

وها هم فجأة يطلقونها مدوية فى نفس واحد :

ـ «كيمو» يا فخر الرجولة ، خذ قلوبنا وعد بالبطولة !

راحوا يرددونها ، وهم يزدادون حمية وانفعالاً ، حتى صارت رعدًا مزلزلاً يدق فضاء الوادى .. بينما البطل يحدق فيهم مذهولاً مبهورًا بهذا الطوفان الكاسح من الحب والثقة ..

وفجأة يهتف صوت من بين الحشد الهائج :

ـ أين حبيبتك الجميلة يا «كيمو» ؟

وسقط الطير على رءوس الجميع .. ألجمهم السؤال المباغت .. وتسمر البطل فى مكانه من المفاجأة .. ولكنهم ما لبثوا أن استداروا جميعًا يفتشون عن الحبيبة بأعينهم

فى لهفة ، فإذا بها تقف خلفهم وحيدة باسمة ، وعيناها على حبيبها بالدموع ..

دموع جلال المشهد ..

ودموع الفرحة ..

ودموع الحب الذى لم يخفق به قلب امرأة لرجل قط ..

وخفق قلب « كيمو » بشدة ..

خفق لوقفة حبيبته التى تقول الكثير ..

ولنظراتها التى تقول أكثر .. ولدموعها التى تقول أكثر وأكثر .. ووجد نفسه يشق دائرة ضيوفه ، قافزًا إليها ، تسبقه نظراته معتذرة خجلى ، مستغفرة لزلة صاحبها .. وفى طرفة عين كان « كيمو » يضم حبيبته فى حضنه ، بينما هى ترفع وجهها نحو وجهه ، لتسبح بعينيها فى عينيه ، كقطة سيامية مخلوقة فقط من الرقة والعذوبة .. ووجد نفسه يهمس لها بكل خجل :

ـ آسف لحبيبة « كيمو » .

وكان ردها وهى تسبح فى عينيه :

ـ « كيمو » العظيم لا يعتذر .

ـ « كيمو » مدين لكِ بكل هذا .. « كيمو » صناعتك .

ـ « كيمو » حبيبى .

وأراحت رأسها على صدره .. وراحت تهمس له :

ـ حبيبى ، أتدرى بِمَ أشعر الآن ؟

ـ بِمَ يا حبيبة « كيمو » ؟

ـ بأننى قطة حقيقية .

وإذا به يجيبها بابتسامته العذبة :

ـ بل أنت نورس البحر .

ـ نورس البحر ؟!

ـ نعم .. أغمضى عينيك !

هتفت مندهشة :

ـ ماذا ستفعل ؟

ـ أغمضى عينيك !

ولم تملك إلا الطاعة .. وما كادت تفعل حتى انطلقت منها صيحة هلع .. فقد فوجئت بنفسها مرفوعة فى الهواء ، ممددة على كفيه فى وضع الطائر .. وإذا به يعتلى إحدى الموائد ، غير عابئ بشهقات الضيوف المرتاعة ، وإذا به يهتف بها :

ـ افتحى عينيكِ !

وفتحت عينيها لتفلت منها صيحة دهشة وانبهار .. لقد وجدت نفسها طائرة فى فضـاء البحـر برحابتـه الهائلـة المثيرة ، يملؤها شعور النورس ، حين يجـد نفسه محلقًا فى هذا الملكوت المهيب بمفرده .. إنها حقًا نورس البحر !

وانطلق صفير الضيوف وهتافهم مبهورين بـالنورس الجميل المحلق فوق ساعدى بطلهم .. وصاح أحدهم :

ـ ما أروعك يا « كيمو » !

وصاحت فتاة فاتنة :

ـ آتنا بتذكار من عندك أيها النورس الجميل !

وأجابتها الحبيبة الطائرة :

ـ أتيتكم به .. أنزلنى يا « كيمو » !

وأنزلها « كيمو » واقفة بين يديه .. وتدافع الضيوف يسألونها :

ـ بِمَ أتيتنا يا فاتنة النوارس ؟

وأجابتهم وهى تحلّق بعينيها المبهورتين على وجه حبيبها الأسطورى :

ـ أتيتكم بوصية .

وهتفوا فى نفس واحد :

ـ وصية ؟!

ـ نعم ..

أوصتنى النجوم بحبيبى ..

أوصتنى ألا أهجر قلبه أبدًا ..

وألا أكون لسواه أبدًا ..

وألا أفارقه ولو بالموت !!

وخشعت الأصوات والقلوب والوجوه .. وتعلَّقت العيون .. كل العيون فى جلال بالفتاة العاشقة .. هالهم هذا الحب الأسطورى الذى لم يرد على قلب بشر .. وإذا بفتاة تشق الصمت المطبق متسائلة :

ـ متى تتزوجها يا « كيمو » ؟!

وتعلَّقت العيون جميعها بـ «كيمو» متلهفين لجوابه، بينما أطرقت الحبيبة بعينيها إلى أسفل خجلاً .. فإذا بـ «كيمو» يرفع وجهها بيديه بمنتهى الرقة والحنو .. وإذا به يبحر بعينيه فى عينيها، مجيبًا عشاقهما بصوته الجهورى المجلجل، وهو يعد جمله :

ـ سأتزوجها فى حلبة «برشلونة» ..

وستكون البطولة مهرها ..

وستكون البشرية كلها شهودًا على عرسها ..

وكانت إجابته هذه كافية لتفجير بركان الفرح .. فيدوى التصفيق والصياح والصفير والزغاريد فى أهزوجة فرح عاتية ترج الوادى !!

* * *

ومن (الأقصر) إلى « برشلونة »، حيث بدأ العرس !

عرس عالمى خرافى، لم تشهد له (إسبانيا) والعالم أجمع مثيلاً له منذ نشأة الأرض ..

عرسٌ نُصب فى الشوارع والميادين، وعلى شاشات التليفزيون، وصفحات الصحف والمجلات ..

عرسٌ ضمَّ خيرة شباب الأرض، الذين جاءوا يحملون آمال وأحلام شعوبهم فوق هاماتهم ..

وجاءوا يعزفون لحن الحب والتسامح والصفاء والإخاء بين بنى آدم فى كافة أرجاء المعمورة ..

وجاءوا يرفعون صوت السلام على صوت آلة الشقاق والتناحر، التى طغت وتوحشت، وراحت تحصد الأرواح والآمال والأحلام بلا رحمة ..

عرسٌ حفل بعشرات من العرسان ، الذين جـاءوا بنجوميتهم وهالاتهم وبريقهم ؛ ليسطروا معًـا بعزائمهم أروع أنشودة حب سمعتها البشرية ..

ولكن !

ثمّة عريس منهم جـاء مسبوقًا بهالـة خاصـة تفوق هالتهم .. وببريق يختلف عن بريقهم !

إنه ذلك العريس القادم من الشرق !

ابن القارة السمراء ..

ابن العرب ..

ابن مصر ..

« كمال المشرفى » !

ذلك الكهل الذى تجاوز الأربعين من عمره ، ومـع ذلك جاء لمصارعة شباب فى عمر أولاده ، لو أنه أنجب ..

فهل يفعلها ؟

ويقهر الزمن ؟

ويحقق الأسطورة ؟

ولكن ..

سـواء حققهـا أم لا ، فـإن مجرد إقدامـه علـى هـذا التحدى المستحيل الوعر ، وبظروفه هذه يعكس شجاعة أسطورية ، تستحق كل إجلال وتعظيم ..

ومن هنا صار « كمال المشرفى » هو العريـس رقـم واحد فى العرس العالمى المهيب ..

نُصبت له بوستراته الضخمة فى أنحاء « برشلونة » ..

وحلّقت صـوره وأخبـاره علـى صفحـات الصحـف والمجلات ..

ولهثت خلفـه كـاميرات وميكروفونـات تليفزيونـات العالم ..

ووزعت له ملايين من الصور التذكارية ..

وتحولت سيرته إلى هوس جنونى ، ضرب « برشلونة » ، و « إسبانيا » ، والعالم بأسره ..

والحبيبة فى كل ذلك تكاد تُجن .. إنها تريد ضمة واحدة فى حضنه .. نظرة من عينيه .. همسة من همساته يطفئها بها ..

ولكن هذا كان من المستحيل ..

فطبقًا لنظام الدورة ، تم عزل البطل تمامًا عن جمهوره وذويه ، حتى يفرغ من البطولة .. حتى إن والده نفسه بكل نفوذه فى « إسبانيا » ، لم يستطع مقابلته سوى مرة واحدة خاطفة فى معسكر التدريب .. نظر فيها السفير فى وجه ابنه مليًا ، وقال له جملة واحدة :

ـ « مصر » أحق بلاد العالم بهذا الشرف .. عُد إليها به !

وأجابه الابن بكلمتين اثنتين :

ـ سوف يحدث يا بابا .

ومال على يد أبيه ، واضعًا قبلة الابن البار ..

وبدأت مباريات البطولة ..

وإذا بالبطل ينتزع النصر تلو النصر ، صاعدًا إلى التصفية النهائية وسط ذهول وانبهار يكاد يطيح بالعقول .. حتى حل اليوم الفاصل ..

يوم التصفية النهائية بينه وبين المصارع الإنجليزى المتوحش « ديفيد ناثان » .

ومنذ الصباح الباكر راحت الآلاف من الجماهير تتوافد على استاد « برشلونة » .. وراحت فرق الرقص الإسبانى تجوب شوارع المدينة تملؤها رقصًا وغناءً .. وراحت ميكروفونات وكاميرات التليفزيونات تسبح وسط هذا العُرس ، ناقلة على الهواء مباشرة هذه الأهزوجة العالمية الرائعة ..

كل ذلك والحبيبة التى لم يغمض لها جفن طوال ليلتها فى وادٍ آخر تمامًا !

فها هى واقفة فى صمت مطبق ، وسكون تام أمام بوستر بالحجم الطبيعى لحبيبها ، منصوب فى غرفتها بالفندق ، وقد تعلقت عيناها بعينيه فى مناجاة ، تكاد تكون تراتيم صلاة .. أخشع صلاة حب عرفها وجدان امرأة فى حضرة رجل ..

ها هى نظراتها متضرعة ..

وها هو قلبها يرفرف محمومًا ..

وها هى تسائل حبيبها ، بكل خفقة فى قلبها :

ـ أحقًا ستتزوجنى اليوم يا حبيبى ؟

أحقًا ستجعلنى عروسًا فى حلبتك ؟ فى عرينك ؟ على مرأى ومسمع كل هؤلاء البشر ؟

أحقًا سيتحقق الحلم اليوم ؟

وسكنت تمامًا ، وكأنها تنتظر الجواب الغالى من حبيبها ..

ولكنها فجأة أُنتُزعت من سكونها ..

رن موبايلها .. وراحت تجيب وهى مازالت بدهشة نجواها .. ولكنها سرعان ما انتفضت هاتفة فى سعادة طاغية ..

ـ معقول ؟! « نهال » حبيبتى ؟!

وعلى الطرف الآخر كانت « نهال » تقف فى غرفتها بفندق « راشيل » الذى يبعد عن « برشلونة » بأكثر من ثلاثين ميلاً ، وراحت تجيبها فى « الموبايل » :

ـ وهل من المعقول ألا أكون معك يا صديقة عمرى فى يوم كهذا ؟ إنه أسعد أيام حياتى .

وصمتت الفتاة الشقراء للحظة مصغية لصديقتها على الطرف الآخر ، ثم أردفت :

ـ أنا الآن فى فندق « راشيل » ، المجاور للمطار .. ولكن المشكلة أننى فقدت حقيبتى التى بها الأوراق والنقود .. يبدو أننى نسيتها فى المطار من شدة فرحتى .. فهل يمكنك أن تأتى لتصحبينى معك إلى الاستاد ؟

وأردفت مجيبة صديقتها :

ـ طبعًا سنلحق بالمباراة .. فمازال أمامنا ساعتان على الأقل ..

شكرًا يا حبيبتى .. ألف شكر ..

وأغلقت « نهال » الموبايل بابتسامتها المرسومة على شفتيها ..

ولكن فجأة اختفت الابتسامة ، لتحل محلها أبغض نظرة ممكن أن تطل من عينى بشر .. نظرة هدرت بكل جنون الغل والحقد والكراهية .. ثم إذا بها تلتفت إلى الرجلين الأنيقين الواقفين إلى جوارها ، فيبادرها أحدهما قائلاً :

ـ برافو « نهال » !

بينما فتح لها الآخر الحقيبة الأنيقة المستقرة فوق منضدة صغيرة تتوسطهما قائلاً لها :

ـ خمسون ألف (دولار) .. مكافأتك !

★ ★ ★

وظهرت « أحلام » منطلقة بسيارتها « الفيرارى » على طريق المطار ، قاصدة صديقتها .. انطلقت بأقصى سرعة كى يمكنها اللحاق بالمباراة ، وهى لاتدرى أن المباراة قد بدأت بالفعل .. فقد تم تأخير ساعتها فى الفندق بفعل فاعل ..

وبينما كان البطل الحبيب يصعد إلى الحلبة وسط هياج جمهوره ، كانت عيناه تفتشان عن الحبيبة

بينهم .. وخُيّل له أنها واقفة بينهم ، تتقافز وتتصايح ، مشعلة حماسهم ..

ولكن الحبيبة مازالت هناك .. منطلقة على الطريق بسيارتها ، دون أن تنتبه لتلك الشاحنة العملاقة البغيضة المندفعة فى أثرها كشيطان مسعور ..

وها هو البطل الحبيب فى الحلبة يسحق خصمه المتوحش ..

وها هى الشاحنة اللعينة المسعورة تواصل اندفاعها خلف سيارة الحبيبة ..

وها هى تلحق بها ..

تنقض عليها ..

تضربها ضربة واحدة تطيح بها من فوق الطريق ، لتسقط فى مزرعة تنخفض عنه بأكثر من ثلاثين مترًا .. تسقط منفجرة مشتعلة ، لايظهر منها سوى عمود فضى من الدخان ، راح يصعد إلى السماء .. وفى الحقيقة لم يكن دخانًا ..

كان روح الحبيبة ..

تنطلق إلى أعلى..

ثم إذا بها تعرج صوب الاستاد ، لترفرف فوق الجماهير الهائجة الهادرة ، الصارخة فى جنون احتفالا بفوز البطل ، بينما نظرات البطل تلهث بحثًا عن الحبيبة ، دون أن يدرى أنها فوقه ..

تحلق بأجنحة من نور ..

تهمس له بعذوبتها المذهلة :

ـ أنا هنا .. معك يا حبيبى .. لن أفارقك أبدًا ..

ولو بالموت !

[تمـــت]



سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

السلسلة الوحيدة التى لا يجد الأب
أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل



فوزى عوض

٢٠٠٦/٦/١٠

أحلام

وهكذا راحت الفتاة
الرائعة تعبّد الطريق أمام حبيبها
بعبقرية وإرادة تفوق جيشا من الرجال ..
مضت تفعل ذلك ، وهى لا تدرى أنها
بصنيعها تشيد لها فى قلب حبيبها
عرشا لم يبن فى قلب رجل
لامرأة قط ..

104

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية

الثمن فى مصر ٣٠٠
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

